

الإصدار الرابع
لعام ١٤٤٣هـ

حقيبة الداعية في رمضان

مواضيع الحقيبة

التفسير التربوي لسـورة يس * الشرح التربوي لأربعينية النووي
كتاب الصيام من مهذبة الزبد * كتاب الزكاة من مهـذبة الزبد
رسـالة أول الإيمان * رسالة صفة الوضوء من الكتاب والسـنة
شرح آداب السلام من الآداب الشرعية من القرآن والسـنة النبوية
الخطب المنبرية (٣٠ بشارة إذا جاء رمضان - أبشر أيها الداعي
الأحكام الفقهية للصدقة - حتى تكـون تفاطيرنا نافعة)

جمعت الحقيبة من مواد ألقاها /

فضيلة الشيخ :

د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

رئيس المجلس العلمي للإفتاء برابطة أهل الحديث باليمن
أستاذ الفقه المشارك بجامعة سيئون



الإصدار الرابع
لعام ١٤٤٣هـ

حقيبة الداعية في رمضان

مواضيع الحقيبة

التفسير التربوي لسـورة يس * الشرح التربوي لأربعينية النووي
كتاب الصيام من مهذبة الزبد * كتاب الزكاة من مهـذبة الزبد
رسـالة أول الإيمان * رسالة صفة الوضوء من الكتاب والسـنة
شرح آداب السلام من الآداب الشرعية من القرآن والسـنة النبوية
الخطب المنبرية (٣٠ بشارة إذا جاء رمضان - أبشر أيها الداعي
الأحكام الفقهية للصدقة - حتى تكـون تفاطيرنا نافعة)

جمعت الحقيبة من مواد ألقاها /

فضيلة الشيخ :

د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

رئيس المجلس العلمي للإفتاء برابطة أهل الحديث باليمن
أستاذ الفقه المشارك بجامعة سيئون

التفسير التربوي

لسورة يس

أمـــلاه :

د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

غفر الله له

www.talebkh.com

التفسير التربوي لسورة يس

سورة يس سورة من السور المكية، ومن مقاصدها العظيمة: الإنذار بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال؛ من خلال التقرير، والقصة وضرب المثل، والتأمل في المشاهد الكونية المتنوعة، وردّ الشبه، وعرض مواقف من البعث، والحوار والجدال بالتي هي أحسن؛ كما في آخر السورة .

يس (١)

حرفان من الحروف العربية، التي بها أنزل الله تعالى هذا القرآن العظيم .

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)

قسمٌ من الله تبارك وتعالى بهذا القرآن:

١- المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢- المشتمل على الحكمة:

أ- بوضع الأمر والنهي، والثواب والعقاب في محالها اللائقة بها.

ب- وبتشريع الأحكام المشتملة على غاية الحكمة.

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)

وجواب هذا القسم: إثبات أن محمدًا ﷺ ليس ببدعٍ من الرسل، بل هو من جملة رسل الله الكُمّل؛ ردًا على من قال: (لَسْتَ مُرْسَلًا) .

بل المقسم به - وهو القرآن الحكيم - من أعظم الأدلة على صدق المقسم عليه - وهي رسالة النبي ﷺ - .

ثم أخبر تعالى بأعظم أوصاف الرسول ﷺ، الدالة على رسالته:

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)

١- أنه على منهج قويم، وشرع مستقيم، سار عليه الرسل من قبله، فهو شرعٌ:

أ- مستقيم مع فطرة الكون وخلق الإنسان؛ دون اضطراب أو تناقض .

ب- ومستقيم في طريق الوصول إلى المطلوب؛ من رضا الله تعالى، دون عوج أو غموض .

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥)

٢- أنه يوحى إليه من ربه سبحانه بوحيٍّ أنزله الله :

أ- وحماه بعزته عن التغيير والتبديل.

ب- ورحم به عباده رحمةً، توصلهم إلى دار رحمته.

لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)

ولما ذكر سبحانه المرسَل والمرسَل به والمرسِل؛ ذكر المرسَل له، وهم:

١- العرب الأميون - ومن لحق بهم من كل أمي - خصوصًا، فإنهم ما أنذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة بعد نبي الله إسماعيل عليه السلام؛ إذ لم يكن لهم بعده من رسول.

٢- ومن تبعهم من أهل الكتاب عمومًا، كما قال تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا).

وذكر سبحانه غاية هذه الرسالة: وهي الإنذار الرافع لحجب الغفلة؛ التي أفسدت قلوبهم، وعطلت حواسهم، ونتجت عن بعدهم عن الوحي والرسالة.

ثم ذكر سبحانه موقفهم من الرسالة والرسول، فقد انقسموا إلى قسمين:

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)

١- القسم الأول، وهم الأكثر: نفذ فيهم القضاء والمشيئة، ووجب عليهم العذاب؛ كما قال تعالى: (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين)؛ لما ردوا الرسالة، ولم يقبلوا النذارة، ولم يؤمنوا بالرسول الذي أرسل إليهم، ولا بالقرآن الذي نزل عليه .

فصاروا بعد هذا التكذيب لا ينتفعون بالإنذار كحال من:

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨)

١- جمعت يداه إلى عنقه، وأوثقت بالقيود والسلاسل التي بلغت إلى ذقنه؛ فلا يملك حرية الحركة السوية.

٢- وأصبح مقمحًا؛ رأسه مرفوعًا قسرًا، لا ينظر إلا إلى الأمام، فلا يملك حرية النظر والرؤية .

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)

٣- ولو أرخي شدّ الأغلال، وتحركت رؤوسهم لم تنفذ أبصارهم - أصلاً - من خلال السدود والحوائل عن الإيمان التي جعلها الله تعالى من أمامهم ومن خلفهم، ومن كل جهة .

٤- بل ولو زالت تلك السدود لم يروا النور، ولم يهتدوا به، فقد أعمى الله تعالى أبصارهم عن رؤية الحق فهم لا ينتفعون بخير، ولا يهتدون إليه.

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)

٥- بل ومنعوا كذلك من الانتفاع بحاسة السمع - بعد تعطيل الانتفاع بحاسة البصر - ، فيستوي عندهم أن تنذرهم بالوحي أو أن تترك نذارتهم، فلن يثمر ذلك إيمانهم؛

كما قال تعالى: (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم).

فنعوذ بالله من حال من أعرض عن دين الله فأضله الله، وختم على قلبه وسمعه، وجعل على بصره غشاوة، فلم يعرف حقًا، ولم ينكر باطلاً، قال عزّ من قائل: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة)؛ أي لأجل ترك الإيمان به أول ما عُرض عليهم، نسأل الله السلامة .

إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)

٢- والقسم الثاني: هم من قبلوا النذارة، فكانت قلوبهم حية، مستعدة لتلقي الوحي؛ لاتصافهم بصفتين:

أ- حرصهم على معرفة الذكر - وهو القرآن -، وتعلمه واتباعه .

ب- خشيتهم من ربهم الرحمن ومن نُذِره؛ في حال شهود الناس لهم، وفي الحال التي لا يطلع عليهم فيها إلا رب الناس سبحانه .

ومتى ما حلت خشية الله في قلب تبعها العمل بهدى الله، والاستقامة على شرعه، جعلنا الله كذلك .

بل وينفعهم أيضًا تذكر إحسان الله ونعمه عليهم، قال البقاعي: "ودلّ لفت الكلام عن مظهر العظمة إلى الوصف بالرحمانية على أن أهل الخشية يكفيهم في الاتعاظ التذكير بالإحسان" .

فاستحقوا أن يبشروا بأمرين:

١- مغفرة الله لذنوبهم - وإن عظمت وتكررت - ما داموا قد تابوا منها خشيةً لله .

٢- أجر الله وثوابه وكرمه؛ جزاء صالحاتهم وخشيتهم واتباعهم للذكر .

ومن أجل ذلك أكدّ سبحانه في هذا الموضع وقوع البعث ودقة الحساب؛ تأكيدًا على مقصد السورة الكريمة:

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)

فيبعث الله الأموات يوم القيامة، ثم يحاسبهم سبحانه على ما كتبته ملائكتُه في صحف الأعمال، وما أحصاه عليهم وعدّه وحفظه في اللوح المحفوظ، وهو الإمام المبين؛ لأنه أم الكتاب، ومرجع ما في صحف الملائكة، فكل صحيفة منها إمام؛ قال تعالى: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم)؛ أي بكتاب أعمالهم الخاص بكل واحد منهم، وما في اللوح المحفوظ هو إمامها المبين الواضح الفاصل .

فيحاسبون على:

١- ما عملوه؛ من خير أو شر في حياتهم.

٢- وما ترتب على أعمالهم؛ من آثار خير أو شر في حياتهم أو بعد مماتهم، قال النبي ﷺ: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا"، رواه مسلم .

٣- وما مشوه بأرجلهم؛ من خطى إلى الخير أو إلى الشر؛ كقوله ﷺ لبني سلمة لما أرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد،: "يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم"، أخرجه مسلم، وفي البخاري: "يا بني سلمة، ألا تحتسبون آثاركم، فأقاموا"، ونزلت في ذلك الآية .

قال قتادة: لو كان الله تعالى مغفلاً شيئًا من شأنك يا بن آدم، أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله أو من معصيته، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله، فليفعل.

وبعد عرض قضية الوحي والرسالة والبعث والحساب في هذه الصورة التقريرية، تعود الآيات لتعرضها في صورة قصصية:

فتعرض لنا نموذجين: الأول النموذج الكافر:

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣)

واضرب - يا محمد - لقومك الذين كذبوك، وكذبوا البعث والنشور ما يشبه حالك وحالهم من قصة أصحاب القرية؛ إذ جاءها المرسلون من عند الله، فكان حالهم:

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤)

١- أن جاءهم رسولان، فكذبوهما .

٢- فأرسل الله مع الرسولين ثالثًا، فقواهما به، فصاروا ثلاثة رسل؛ اعتناءً من الله بهم، وإقامة للحجة عليهم بتوالي الرسل إليهم .

فاعترضوا على رسلهم باعتراضات من قبلهم على أنبيائهم:

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)

١- الاعتراض الأول: أنتم بشر عاديون، مثلكم مثلنا، فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر؟، ولم لا يُوحى إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلاً لما كنتم مثلنا، بل كنتم ملائكة!، فأنكروا رسالة الله عز وجل كعادة من قبلهم في الإنكار، قال تعالى: (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) .

بل تجرأوا، وأنكروا كل رسالات الله تعالى، واتهموا رسلهم بالكذب، وزعموا أن عموم رحمة الله الرحمن تقتضي أن يسوي بيننا في الرحمة، فلا يخصكم بشيء دوننا!.

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)

فأكدّ لهم رسلهم أنهم مرسلون من عند الله، ومن أدلتهم على ذلك: علم الله وإطلاعه عليهم، فلو كانوا كاذبين لانتقم الله منهم، ولم يعزهم، ولم ينصرهم؛ كقوله تعالى: (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدًا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون).

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧)

وأكدّ لهم رسلهم أن وظيفتهم إنما هي البلاغ المؤيد بالأدلة القطعية الواضحة.

ثم اعترض المكذبون على رسلهم بالاعتراض الثاني، فقالوا:

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)

٢- قالوا: ما حُبس المطر والرزق عنا إلا بسبب قدومكم علينا!.

والتشاؤم بالرسل والصالحين من خرافات الجاهليين، ومن مسلك المكذبين للرسالات من قبل.

٣- ثم تمادوا في سلوك مسلك المنكرين لرسالات الله، فهددوا رسلهم بالقتل بأشنع القتلات؛ رجمًا بالحجارة، وبالعذاب المؤلم الموجع، وهي طريقة أهل الباطل في كل زمان في مقاومة الحجة الرسالية .

قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (١٩)

وأجابتهم رسلهم أن تشاؤمكم مردود عليكم، وهو من قبلكم؛ جراء أعمالكم القبيحة، المقتضية لوقوع المكروه والنقمة، وارتفاع المحبوب والنعمة، والتي منها:

١- تكذيبكم لرسلكم؛ لما ذكروكم بالإيمان بالله تعالى.

٢- وإسرافكم في الشرك والذنوب والظلم، ومجاوزة الحدود .

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

ومع هؤلاء الرسل الثلاثة جاءهم داعية رابع، يدافع عن دعوة رسل الله، وينصح قومه بالاستجابة للحق الذي معهم، وكان من شدة حرصه أنه:

١- جاء من مكان بعيد .

٢- وجاءهم يسعى، فوق المشي، ودون العدو؛ حرصًا على نصيحتهم .

٣- ثم ناداهم شفقة بهم؛ بما بينه وبينهم من نسب قرابة، وسبب جوار: (يا قوم).

٤- ودعاهم لاتباع الرسل الذين أرسلهم الله إليهم، ووضح لهم ما يحملهم على ذلك:

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١)

١- أنهم يبلغونكم شرع الله تعالى، ولا يطلبون لأجل ذلك مقابلاً، فارتفع المانع من قبول ما جاءوا به.

٢- أنهم مهتدون للحق والخير، ويدعونهم لذلك، فعظم الدافع لقبول ما جاءوا به.

قال ابن عاشور: " وبهذا يظهر وجه تقديم من أقصا المدينة على رجل؛ للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء؛ لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة؛ إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة" .

وكأنهم لاموه على اتباع دين الله، وترك دينهم الباطل، فأجابهم جريئًا في قول الحق، فصيحًا في بيانه ودعوتهم إليه، مرغبًا فيما اختاره لنفسه، وموبخًا لمن يأباه:

وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)

١- كيف لا أعبد من فطرني وخلقني، وإليه أرجع، وكيف لا تعبدون الذي فطركم وخلقكم، وإليه ترجعون!، فسبحانه منه مبدؤنا، وإليه مرجعنا.

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣)

٢- ويؤكد هذا المعنى موبخًا ومقرعًا لهم: وكيف أعبد إلهًا غير الله، ولو أرادني الله بضر لم يستطيعوا أن :

أ- ينقذوني - بقوتهم - من وقوع قضاء الله عليّ، فيرفعوه عني .

ب- ولا يشفعوا لي عند الله - بمكانتهم -؛ فيدفعوه عني .

إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤)

٣- ثم كيف تدعونني إلى ضلال بيّنٍ واضحٍ في نفسه، لا أقدر معه على أي نوع من الاهتداء .

إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)

٤- بل أنا آمنتُ بربكم الذي أحسن إليكم بنعمه، فاسمعوا وأطيعوا قولي .

قال المفسرون: فلما قال ذلك، وثبوا عليه وثبة رجل واحد، ولم يكن له أحد يمنع عنه، فالتفت إلى الرسل، فقال: إني آمنتُ بربكم الذي أرسلكم، فاشهدوا لي بذلك عنده، فقتلوه، قيل: رجموه بالحجارة، وقيل: حرقوه بالنار، وقيل: نشروه بالمنشار، رحمه الله.

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)

فقال الله لهذا الشهيد: ادخل الجنة؛ لأن الشهداء يسرحون في الجنة حيث شاؤوا من حين موتهم، فلما ذهب عنه سقم الدنيا وحزنها، ووجد نعيم الجنة وأمنها، قال: يا ليت قومي يعلمون.

قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًا؛ لما عاين ما عاين من كرامة الله، قال: (يا ليت قومي يعلمون* بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله له .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نصح قومه في حياته بقوله: (يا قوم اتبعوا المرسلين)، وبعد مماته في قوله: (يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين).

وأشبه قوله قول من استشهد من الصحابة ﷺ في بئر معونة – كما رواه البخاري – عن أنس رضي الله عنه؛ إذ قالوا: بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، وفي غزوة أحد لما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلهم: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله

بنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال تبارك وتعالى: فأنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا)؛ الآيات في سورة آل عمران.

قال القرطبي (٢٠/١٥): "وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام" .

بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)

١- فأزال عني أنواع العقوبات؛ بمغفرته.

٢- ومنذ عليّ بأنواع الهبات والمسرات؛ بكرمه.

كان هذا جزاء الإيمان، أما مصير الكفر وأهله، قال تعالى:

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨)

فهم أهون من أن يرسل الله تعالى عليهم جموعًا من ملائكة السماء؛ لتدميرهم، وإهلاكهم أيسر على الله عز وجل من ذلك، بل لم تكن من سنة الله في إهلاك القرى الظالمة أن يرسل عليها أكثر من ملك واحد من ملائكته .

فماذا فعل بهم سبحانه !.

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩)

انتقم الله منهم غضبًا علهم؛ لما كذبوا رسله، وقتلوا وليه، فأرسل إليهم جبريل فصاح فيهم بصوت واحد قطع قلوبهم في أجوافهم، فأصبحوا خامدين ميتين عن آخرهم؛ لا حركة لهم ولا صوت، ولا حياة، بعد ذلك الكفر والاستكبار.

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠)

يا حسرة على العباد ينادون للإيمان فيكفرون، ويدعون لجنان الله فيأبون، وتأتيهم رسل الله بالبينات فيستهزئون، ومن قبلهم مصارع الأمم الظالمة فلا يعتبرون.

ثم يُذكرهم ربهم سبحانه وتعالى بأربع آياتٍ من آياته ودلالاته الباهرة العظيمة التي تدل على عظمته ووحدانيته، وقدرته على بعث الخلق بعد موتهم :

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١)

١- أما الآية الأولى: فإهلاك الأمم الكثيرة المتعاقبة من قبلهم لما كذبوا رسلهم، وأعرضوا عن توحيد الله .

فهل اتعظوا بمضيهم تباعًا، وقد علموا أنهم مضوا من هذه الدار، ولم يرجعوا لها .

أفلم تكن لهم عبرة ببشرٍ أهلكهم الله تعالى من أمثالهم ! .

وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)

لكن للكل من الأمم الماضية والآتية موعد يزم القيامة، يُحضرهم الله القدير سبحانه فيه بين يديه؛ للحساب والجزاء؛ كما قال تعالى: (وإن كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم) .

وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣)

٢- والآية الثانية: آية الأرض الميتة - التي من جنسها خلقوا - أحياها الله بعد موتها:

أ- فأخرج من جوفها حبًا، جعله قوتًا، يأكلون منه هم وأنعامهم .

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)

ب- وأنبت على ظهرها بساتين يانعة؛ من نخيلٍ ترتفع، فتناطح السماء، وأعناب تتدلى، فتنفرش على الأرض، بها انتفاعهم وسرورهم .

ج- ثم فجر سبحانه من عيونٍ تسبح في جوفها عيونًا تجري على ظهرها؛ بماءٍ به قوام حياتهم، وجمال عيشهم .

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)

ليأكلوا من ثمر النخيل والعنب والحب ما يكون قوتًا وأدمًا وتفكهًا ودواءً، لم تعمله أيديهم، ولم يكن بسعيهم ولا كدهم، ولا حولهم ولا قوتهم، بالله سبحانه خلقه وسخره لهم، فلم يحتاجوا في أكل جلها لطبخٍ ولا طهيٍّ، فهلا شكروا نعمته، ولم يكفروا برسله .

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)

تنزه الله عن كفرهم، وسبحان الله الذي أحسن كل شيء خلقه، فجعله زوجين يتناسل:

١- من نبات الأرض، حبها وشجرها .

٢- ومن أنفسهم؛ ذكرًا وأنثى .

٣- ومن مخلوقات لا يعلمها إلا الذي خلقها وأبدعها، سبحانه؛ كما قال سبحانه: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون).

أفلم تكن لهم عبرة بأرضٍ أحياها الله تعالى من جنسهم، وأزواج فيها من أمثالهم ! .

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)

٣- والآية الثالثة: أفلاك تسبح فوقهم في السماء:

أ- ليلٌ يَنزع عنهم ضوء النهار؛ بأمر الله وتقديره؛ لينامو ويستقروا.

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)

ب- وشمسٌ تسير كل يوم إلى ميقات غروبها؛ بتقدير محكمٍ؛ ممن عزت قوته وجلّ علمه .

قال رسولنا ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: "تدري أين تذهب؟"، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئتِ؛ فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)، أخرجه البخاري، وأصله في مسلم.

وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)

ج- وقمرٌ يسير في السماء سيرًا يُستدل به على مضي الشهور، في منازل معلومة ومؤقتة، يبدأ فيها ضعيفًا، ثم يكتمل فيها بدرًا، ثم يعود فيها ضعيفًا؛ كعذق النخلة اليابس البالي .

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

لا آية النهار تدرك آية الليل، ولا ظلام الليل يسبق ضوء النهار، بل كلها تسبح في نظام محكم لا يختل، وسيرٍ مقدرٍ لا ينحل .

- فالشمس يشتد ضوؤها، ويضعف في يوم واحد، وتتنقل في مطالعها ومغاربها صيفًا وشتاءً، فيطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار.
- والقمر يشتد نوره، ويضعف في شهر واحد، وينتقل في منازله، فيولد شهرٌ، ويمضي آخر، ويستتر ليلة أو ليلتين؛ فيطول شهرٌ، وينقص آخر .

قال البقاعي: إذا جاء سلطان هذا ذهب ذاك، وإذا جاء ذاك ذهب هذا، فإذا اجتمعا قامت الساعة .

أفلم تكن لهم عبرة بليل ونهار يتعاقبان، وبشمس وقمر – أكبر من خلقهم – يشتدان ويضعفان ! .

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١)

٤- والآية الرابعة: أفلاك تسبح فوق الأرض:

أ- أولها فلك مشحون ومملوء بالأمتعة يسبح فوق الماء، حمل آباءهم – من ذرية القرون الماضية – وأنجاهم الله به من الطوفان .

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)

ب- وثانيها سفنٌ تسبح في الصحراء؛ من إبل يركبون عليها، ويحملون عليها أمتعتهم.

وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣)

ولو شاء الله لم تحملهم، بل أغرقتهم، فلا مغيث لهم مما هم فيه، ولا منقذ لهم مما أصابهم.

إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٤٤)

لكنها سارت برحمةٍ من الله لهم، يتمتعون بها إلى وقت معلوم عند الله.

أفلم تكن لهم عبرة بسفنٍ تحملهم برًا وبحرًا وجوًا، ولو شاء الله لأخذهم في أي لحظة، فما هم بمعجزين ! .

ومع هذه الآيات البينات الواضحات إلا أن موقفهم كان الجحود والاستهزاء، فلا لآيات الله تدبروا، ولا لعضات الله اعتبروا، ولا لرسل الله استجابوا، بل كان موقفهم موقف المستهزئين المعرضين، وذكر الله من استهزائهم ثلاثة مواقف شنيعة:

الموقف الأول: إذا خوفوا من عذاب الله:

وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون (٤٥)

فإذا قيل لهم: خافوا خوفًا عظيمًا تصلحون به :

١- ما خلفتم من ذنوب ماضيات، وتحذرون فيه وقائع وقعت على أسلافكم مهلكات .

٢- وما تستقبلون من ذنوب آتيات، وتحذرون فيه وقائع الآخرة المهولات .

لعل الله العفو الغفور يرحمكم، ويصلح أحوالكم .

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤٦)

لم يكن موقفهم من هذا التذكير إلا كموقفهم من سائر الآيات الكونية التي ذكروا بها، موقف الكفر والإعراض، بل والاستهزاء، لا يتأملون آية، ولا يتعظون بتذكير .

قال ابن سعدي عند قول الله تعالى: (من آيات ربهم): "وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم".

الموقف الثاني: إذا دعوا إلى الإحسان لعباد الله؛ إذ الرحمة والرزق والنصر إنما تكون برحمة الضعفاء؛ كقول النبي ﷺ: "هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم"، وقوله: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"، قاله البقاعي .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)

فإذا قيل لهم: أحسنوا لعباد الله، وأنفقوا عليهم من رزق الله، شنعوا على الآمرين لهم بالمعروف بأمرين:

١- الأول: احتجوا بمضي قدر الله ومشيئته في جعلهم فقراء، ليس لهم طعام، وجهلوا أن الله تعالى جعل طعام الفقراء تارة بلا واسطة بينه وبينهم، وتارة بواسطة الأغنياء؛ امتحانًا لشكرهم لنعمته، وقيامهم بحق طاعته!.

٢- والثاني: نسبوا من دعاهم إلى الإحسان للمحتاجين والمساكين إلى الضلال الظاهر البيّن، بل جعلوهم في ضلال محيط بهم من كل جانب .

والموقف الثالث: إذا ذكروا بيوم البعث والجزاء والحساب:

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨)

استبعدوا قيام الساعة، وأنكروها:

١- وسألوا مستهزئين: متى سيقع هذا الذي توعدوننا به !، تارة تلويحاً، وتارة تصريحاً .

٢- ثم طلبوا تهكمًا تعجيله؛ ليصدقوا بوقوعه، وقد قال الله عنهم: (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها).

٣- ثم أكدوا تكذيبهم به بقولهم : (إن كنتم صادقين).

قال صاحب ظلال القرآن: "ووعد الله لا يستقدم لاستعجال البشر، ولا يستأخر لرجائهم في تأخيره، فكل شيء عند الله بمقدار" .

وكان جواب الله تعالى عن مواقفهم الثلاثة الاستهزائية، أن ذكّرهم سبحانه بثلاثة مشاهد من مشاهد يوم القيامة:

المشهد الأول: مشهدهم يوم نفخة الصعق والموت:

مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩)

ما يمهلهم ولا يؤخرهم ربهم إلا إلى نفخة واحدة، ينفخها إسرافيل – بأمر الله تعالى – فيصغون لها، ويميلون بأعناقهم؛ ليستمعوا لها، فتهلكهم جميعاً، وهم في غفلة عنها، يختصمون بينهم في أمور دنياهم، وبيعهم وشرائهم.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)

ويعجزون عندها فجأتها:

١- أن يقولوا قولاً يوصون فيه؛ بأغلى ما يملكون لأغلى من يحبون من أهلهم .

٢- ولا أن يخطوا خطى، يرجعون فيها إلى أهليهم؛ فضلاً إلى غيرهم، بل يموت كل واحد منهم في مكانه؛ حيث تفجأه الصيحة، وفي الحديث: "لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يبيعانه ولا يطويانه... ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها"، أخرجه البخاري .

والمشهد الثاني: مشهدهم يوم ينفخ في الصور نفخة البعث والنشور، بعد أربعين سنة من النفخة الأولى:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١)

١- فكان حالهم: أنهم خرجوا من قبورهم يسيرون سيرًا سريعًا إلى لقاء ربهم سبحانه، الذي كفروا به، وبلقائه؛ كقوله تعالى: (يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون) .

قال البقاعي: "فيا لها من قدرة شاملة، وحكمة كاملة، حيث كان صوت واحد يحيي تارة، ويميت أخرى".

قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)

٢- وكان قولهم لما عاينوا ما كذبوه في محشرهم: أن تنادوا بالويل والثبور، وتساءلوا: (من بعثنا من مرقدنا)، يقصدون من قبورنا التي كان عذابنا فيها بالنسبة لما سنلاقيه من حساب الله عذابه كالراحة التي يجدها النائم في مرقده ! .

فأجابهم المؤمنون والملائكة:

١- (هذا ما وعد الرحمن) بوقوعه .

٢- (وصدق المرسلون) في تذكيركم به؛ كقوله تعالى في سورة الصافات: (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين . هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون)، وقوله: (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون . وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) .

قال ابن سعدي في لفتة جميلة: "ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر

على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ)، (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)، ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن في هذا" .

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)

وتحقق وعد الله، وخبر رسله: أنها نفخة وصيحة واحدة وإذا بالله يحضرهم جميعًا بين يديه للجزاء والحساب، وملائكة يقودونهم، وآخرون يسوقونهم؛ قال سبحانه: (فإنما هي زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة) .

فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)

وتحقق وعد الله تعالى فإذا هم مجموعون للحساب :

١- فلا تُظلم نفس من النفوس شيئًا مما تستحقه، ولا ينقص من ثواب عملها شيئًا.

٢- ولا تجزى نفس من النفوس إلا بما عملت، ولا يزاد عليها في عملها شيئًا .

فمن وجد خيرًا؛ فليحمد الله على ذلك، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، اللهم سلم، سلم .

والمشهد الثالث: مشهدهم ومشهد المؤمنين يوم القيامة، "فلما قرر أن الجزاء من جنس العمل، شرع في تفصيله، وبدأ بأشرف الحزبين في جواب من سأل عن هذا الجزاء، فقال مؤسفاً لأهل الشقاء"، كما قاله البقاعي.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥)

فإذا ارتحل أهل الجنة من العرصات، ونزلوا في روضات الجنات، وجدوا من النعيم ما لا يخطر على قلب بشر، ووصف سبحانه في هذه الآيات من نعيمهم خمسة أمورٍ:

١- أنهم في شغل تنعموا وأعجبوا وفرحوا به، فلهم فيه عيش المتفكه الآمن بتمام اللذة والراحة .

قال الألوسي: "والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه؛ لكونه أهم عنده من الكل؛ إما لا يجابه كمال المسرة، أو كمال المساءة، والمراد هاهنا هو الأول، وتنكيره للتعظيم كأنه شغلٌ لا يدرك كنهه، والمراد به ما هم فيه من النعيم الذي شغلهم عن كل ما يخطر بالبال" .

وأيّ شغلٍ في الجنة هو بهذا الوصف ؟:

أ- قيل: شغلهم بافتضاض الأبكار، قاله جماعة من السلف .

ب- وقيل: تلذذهم بسماع الأوتار، قاله وكيع .

ج- وقيل: شغلهم في زيارة بعضهم بعضًا، قاله ابن كيسان .

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦)

٢- أنهم يجلسون مع أزواجهم تحت الظلال، وفوق السرر المزينة العالية التي يتكئون عليها:

أ- ليتلذذوا بأزواجهم من الحور العين على الأسرة ذات الحجال .

ب- وليتحدثوا مع أزواجهم وأشباههم من الأصدقاء على المتآكي الحسان .

لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧)

٣- أنهم يتلذذون بأنواع الفواكه اللذيذة التي لا تنقطع عنهم، ولا تُمنع .

٤- وأنهم يجدون كل ما يتمنونه ويطلبونه ويشتهونه من جميع أصناف الملاذ.

سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨)

٥- أن الله الرحيم يسلم عليهم؛ كقوله تعالى: {تحيتهم يوم يلقونه سلام}، وما يتبعه من تسليمه لهم من جميع الآفات والمنغصات .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك ؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربِ، وأيّ شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا ".

فذكر سبحانه نعيمهم في أفعالهم، ونعيمهم في أحاديثهم، ونعيمهم بطعامهم، ونعيمهم في تحقق أمانيهم، ونعيمهم في سلامتهم من كل آفة، وفي لقاء ربهم الرحيم سبحانه .

قال ابن سعدي: "فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور لحصل ذلك" .

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩)

ثم نودي في المجرمين العريقين في الإجرام في موقف التوبيخ والتقريع الأول: اعتزلوا اليوم من الصالحين، وتميزوا عنهم، ولا يقع في أوهامكم أنكم تخالطونهم أصلاً، فقد كنتم تمتازون عنهم في الدنيا ترفعاً واستكباراً؛ كقوله تعالى: (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون)، (يومئذ يصدعون)؛ أي: يصيرون صدعين فرقتين .

فأسروا الندامة، وسُقط في أيديهم، وعضوا على أيديهم، وشخصت منهم الأبصار، وكلحت الوجوه، وانخلعت القلوب، ونكست الرؤوس، وبلغت بهم الحسرة كل مبلغ .

ثم يوبخهم الله تعالى ويقرعهم في موقف التوبيخ والتقريع الثاني على رءوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار، يوم أن أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم، فيقول لهم:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)

ألم أوصيكم إيصاء عظيماً بما نصبت لكم من أدلة، ومنحت لكم من عقول، وبعثت فيكم من رسل، وأنزلت عليهم من كتب، وبيّنتُ لكم فيها طريق النجاة والصرط المستقيم:

١- أن تتخذوا الشيطان عدوًا، ولا تعبدوه.

وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)

٢- وأن تعبدوني، وتتبعوا صراطي وشرعي المستقيم .

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)

٣- وأن تعتبروا بالخلق الكثير الذين صدهم الشيطان عن صراطي المستقيم .

وفي موقف التوبيخ والتقريع الثالث يقال لهم:

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣)

واليوم تعاينون النار التي خوف الله عز وجل من عصاه بها، وكنتم تكذبون بها؛ كما قال تعالى: (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) .

اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)

قاسوا حرها وتوقدها واضطرامها؛ بكفركم بالله ورسله وكتبه ووعيده .

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)

وفي موقف التوبيخ والتقريع الرابع؛ لتعظم حسرتهم وتبكيتهم:

١- يختم الله على أفواههم؛ "لأجل أن يكون الإقرار من جوارحهم؛ لأن شهادة غير الناطق أبلغ في الحجة من شهادة الناطق؛ لخروجه مخرج الإعجاز"، نظم الدرر (١٥٧/١٦) .

٢- ثم ينطق الله بقدرته الباهرة أيديهم التي باشرت الإجرام؛ فتعترف بما أجرمت .

٣- وينطق الله أرجلهم التي حضرت، فتشهد عليهم بما عملوا وكسبوا من المعاصي .

قال القرطبي (٤٩/١٥): "اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه إقرار بما قال أو فعل، فلذلك عبر عما صدر من الأيدي بالقول وعما صدر من الأرجل بالشهادة" .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ، فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: " أتدرون مم أضحك؟ " قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز علي إلا شاهدًا من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين

شهودًا، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي؛ فتنطق بعمله، ثم يخلي بينه وبين الكلام، فيقول: بعدًا لكنّ وسحقًا، فعنكن كنت أناضل".

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦)

أنطق الله تعالى جوارحهم تقريعًا لهم وتوبيخًا، ولو شاء سبحانه لأرى المؤمنين مشاهد متعددة من السخرية والاستهزاء بهم خامس وسادس:

١- بأن يجعل أعينهم مطموسة، ثم يجعلهم يتسابقون للسير على الصراط، ويزدحمون على العبور، فكيف سيكون التنكيل بهم، والسخرية منهم، وهم لا يبصرون طريقهم !.

جزاء أن عموا عن الصراط المستقيم في الدنيا بقلوبهم فأعمى الله أبصارهم في الآخرة؛ كما قال الله: (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم).

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧)

٢- وبعد حركتهم واضطرابهم في بحثهم عن الصراط، لو شاء سبحانه أن يمسخهم في مكانهم، فيجمدون في مكانهم، ويعجزون عن المضي للإمام، أو في اتجاه، وعن الرجوع للوراء، أو لحالتهم التي كانوا عليها قبل المسخ، بل يلزمون حالاً واحدًا، لا يتقدمون ولا يتأخرون، فأنى لهم أن يعبروا الصراط إلى الجنة .

ولن يستطيع أحد النجاة وعبور الصراط إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نور طاعاتهم وصالحاتهم .

وقد ذكر الله تعالى من الأدلة البيّنة على صدق رسوله، وعلى البعث بعد الموت ما تتضح دلالته لكل عاقل، وعدد هاهنا ستة أدلة:

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨)

الدليل الأول: أن من نظر لمن حوله من الخلق وجد أن من طال عمره في هذه الدنيا ردّه الله تعالى إلى حالة الضعف مرة أخرى؛ ضعف القوة، وضعف العقل؛ ليعلم أن هذه الدار دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار؛ كما قال تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)، وكقوله: (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا) .

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩)

الدليل الثاني: أن من تأمل في حال النبي ﷺ وحال ما أنزله الله عليه من الوحي علم براءته مما نسبه إليه المشركون من الشعر من جهتين:

الأولى: أن النبي ﷺ لم يكن الشعر من طبعه، ولا يحسنه، ولا تقتضيه جبلته .

والثانية: أن هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى عليه ذكرٌ بينٌ واضحٌ لمن تأمله وتدبره، ومحالٌ أن يكون شعرًا، من صنع الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، كيف وقد تميز القرآن بخصيصتين:

لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)

أ- الأولى: أن فيه نذارة بيّنة:

- موجهة لكل حيّ على وجه الأرض، كقوله تعالى: (لأنذركم به ومن بلغ).
- ونافعة لكل من كان حي القلب والضمير؛ كقوله تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

ب- والثانية: أن فيه حجة دامغة على كل من كفر بالله، وعاند رسله .

قال في ظلال القرآن (٥/ ٢٩٧): "ويضع التعبير القرآني الكفر في مقابل الحياة؛ فيجعل الكفر موتًا، ويجعل استعداد القلب للإيمان حياة" .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ

الدليل الثالث: أن من تفكر منهم في مشاهداته اليومية رأى أنعامًا خلقها الله تعالى، وسخرها لهم:

أ- حتى ملّكهم إياها، وجعلها تحت سيطرتهم - وهي أكبر خلقًا منهم -، فلو شاء صغيرٌ منهم أقامها، وأناخها، وساقها، وساق خلفها قطارًا عظيمًا منها، بقدرة الله الذي سخّرها لعباده .

فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)

ب- وجعلها مراكبهم في أسفارهم، يحملون عليها أثقالهم إلى أي بلدٍ شاءوا .

ج- وجعل منها لذيذ طعامهم، فينحرونها ويأكلونها متى شاءوا .

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣)

د- وجعل لهم من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين، فبها يتقون الحر والبرد؛ لباسًا وسكناً، زينةً وجمالاً .

هـ- وجعل نافع شرابهم؛ من ألبانها قوتًا، ومن أبوالها دواءً .

فهلا شكروا نعمة الله عز وجل، وأفردوه سبحانه بالشكر والعبادة ! "وما يملك الناس أن يصنعوا من ذلك كله شيئًا، وما يملكون أن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له، وما يملكون أن يذللوا ذبابة لم يركب الله في خصائصها أن تكون ذلولا لهم! ... وحين ينظر الإنسان إلى الأمر بهذه العين ... تصبح كل مرة يركب فيها دابة، أو يأكل قطعة من لحم، أو

يشرب جرعة من لبن، أو يتناول قطعة من سمن أو جبن، أو يلبس ثوبًا من شعر أو صوف أو وبر إلى آخره، إلى آخره لمسة وجدانية تشعر قلبه بوجود الخالق ورحمته ونعمته، ويطرد هذا في كل ما تمس يده من أشياء حوله، وكل ما يستخدمه من حي أو جامد في هذا الكون الكبير، وتعود حياته كلها تسبيحًا لله، وحمدًا وعبادة آناء الليل وأطراف النهار" في ظلال القرآن (٢٩٧٦/٥) .

لكنهم للأسف :

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥)

اتخذوا آلهة من دون الله – الذي أحكم خلقهم، وأبدع رزقهم – يرجون أن تنصرهم:

أ- مع علمهم أنها أقلّ من ذلك وأذلّ وأحقر، لا تقدر على نصر عابديها، بل ولا على الانتصار لأنفسها؛ لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

ب- يجتمعون جنودًا حولها، يحمونها من وقوع سوء عليها، ثم يرجون أن تحميهم وتنصرهم ! .

فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)

فلا يصيبك الحزن – يا محمد – من تكذيبهم لك، وإنكارهم لدينك:

أ- فلا حجة لهم قائمة.

ب- والله سبحانه يعلم جميع ما هم عليه؛ من سرٍ وعلن، وسيجازيهم على أعمالهم .

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧)

الدليل الرابع: أن من رأى في خلق خاصة نفسه علم أن الله تعالى ابتدأ خلقه من نطفة، من سلالة من ماء مهين، ثم نقله طورًا بعد طور، حتى تمّ خَلقه وعقله، (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ)، كثير الخصومة والجدال، بفصاحة وحجة، حتى أنه ليجادل من أعطاه العقل والقوة والقدرة .

فعن بسر بن جحاش القرشي ﷺ أن النبي ﷺ بزق يومًا في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: "قال الله: ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه!، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة"، أخرجه أحمد .

ومن هؤلاء المجادلين بالباطل العاص بن وائل؛ أخذ عظمًا من البطحاء، ففته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم، يميتك الله، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم"، أخرجه الحاكم، وأنزل الله :

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)

وهل قدر الله عز وجل أن يخلق الإنسان من نطفةٍ، وعجز أن يُعيد خلقه من عظم مفتوت بالٍ !، تعالى الله عما يقول الظالمون علوً كبيرًا .

وهل لما عجز هذا المخلوق عن هذا الفعل دعاه ذلك أن يستبعد قدرة الخالق القادر عليه ! .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " كان رجلٌ يسرف على نفسه، فلما حضره الموت، قال لبنيه: إذا أنا متُّ، فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات، فُعِل به ذلك،

فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعتَ؟ قال: يا ربِ خشيتك، فغفر له".

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)

فليعلم – هذا وغيره – أن الذي أنشأه من العدم قادر على أن يعيده بعدما تفرق وتمزق .

بل وليعلم أن الله سبحانه بكل خلق عليم؛ فيعلم عز وجل العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت؟، وأين تفرقت وتمزقت؟، "ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقرّ العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجلّ من إحياء الله الموتى من قبورهم"، تفسير السعدي ص(٧٠٠).

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)

الدليل الخامس: أن من تأمل فيما يعالجونه كل يوم؛ من إيقاد نارهم وجد عظيم قدرة الله الذي أبدع خلقه، وقدِر على كل شيء؛ وكيف مكّنهم الله سبحانه من أن يحكوا عودين أخضرين رطبين، ممتلئين ماءً، فتنقدح من بينهما نارٌ، فسبحان الذي أخرج النار من بين الماء، مع تضادهما وشدة تخالفهما، وسبحان الذي خبأ النار في الخشب والماء، لا النار تعدو على الخشب فتحرقه، ولا الماء يعدو على النار فيطفئها، سبحانه القادر على ما يريد، لا يمنعه شيء، فأنى يعجزه إخراج الموتى من قبورهم ! .

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)

الدليل السادس: من تأمل فوقه في خلق السموات السبع، بما فيها من الكواكب السيارة والثابتة، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، دلّه ذلك على أن الله تعالى قادر على إعادة الأجساد بعد موتها؛ قال تعالى: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) .

سبحانه الخلاق، البالغ في هذه الصفة غايتها في تكثير الخلق وتكريره، العليم بكل خلق، وما إعادته للأموات إلا فرد من أفراد آثار خلقه وبديع علمه .

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)

لا فرق عنده في خلق الكبير والصغير، بل إذا أراد خلقًا قال له سبحانه: كن، فيكون من غير مهلة على وفق ما أراد.

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

فتنزه الله وتقدس من إله عظيم قادر، مالكٍ لكل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، وإليه يرجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عاملٍ بعمله، ومن تمام ملكه سبحانه أن يدبر العباد بأحكامه القدرية، والشرعية، والجزائية يوم الدين.

آخر تفسير سورة يس، ولله الحمد والمنة .

الشرح التربوي

لأربعينية الإمام النووي

أمـــلاه :

د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

غفر الله له

www.talebkh.com

شرح الأربعين النووية :

- الإمام النووي رحمه الله هو يحي بن شرف، أبو زكريا، يلقب بمحيي الدين، ولد بقرية نوى بدمشق، سنة ٦٣١هـ، نهل العلم منذ الصغر، حتى برع في علوم كثيرة، ويعد محقق مذهب الإمام الشافعي، اتصف بالزهد والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، له مؤلفات عدة، منها شرح صحيح مسلم، والروضة والمنهاج في الفقه، والتبيان في آداب حملة القرآن، توفي في ٢٤ من رجب سنة ٦٧٦هـ، وعمره ٤٥ سنة .
- وأصل هذا الكتاب أن ابن الصلاح جمع في مجلس من مجالس تدريسه للحديث الأحاديث الكلية التي يدور عليها علم الشريعة، فجعلها ستة وعشرين حديثًا، ثم زادها العلامة النووي ستة عشر حديثًا، فصارت الأحاديث اثنين وأربعين حديثًا، وسميت بالأربعين النووية تجوزًا.
- وقد جمع هذه الأحاديث الأربعين وقصد من ذلك :

أ- أن يدخل في مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: " من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء العلماء"، وفي رواية: "بعثه الله فقيهًا عالمًا"، وهو حديث ضعيف باتفاق الحفاظ، ومصداق حديث: "ليبلغ

الشاهد منك الغائب"، وحديث: " نضر الله امرئ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها".

ب- تسهيل حفظ هذه الأحاديث والعمل بها؛ لذا حذف أسانيدها، والتزم الصحة غالبًا .

ج- جمع أحاديث تعد من قواعد الدين، من فهمها وعمل بها أدرك خيرًا كثيرًا من ميراث النبوة .

د- بل وتعد من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "أعطيت فواتح الكلم، وجوامعه، وخواتيمه"، صحيح الجامع، (١٠٦٩).

- ولذلك تولى شرح هذه الأحاديث جمع من أهل العلم، منهم: النووي، وابن دقيق العيد، وابن رجب الحنبلي، وغيرهم كثير .
- وقد اعتمدت في هذا الشرح على الشرح الإجمالي لمعنى الحديث ومسائله، ثم الوقوف قليلاً مع بعض الفوائد التربوية التي تهم المتربي والمربي على حد سواء بما يناسب الوقت؛ بحيث لا يتجاوز شرح الحديث الواحد عشرة دقائق؛ نظرًا لضيق الوقت، والله الموفق .

الحديث الأول:

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه". (رواه إماما المحدّثين: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة).

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث معيار تصحيح الأعمال الباطنة؛ لذا عده الشافعي وأحمد ثلث العلم، وبدأ به البخاري صحيحه، فالأعمال بالنيات صحة وفسادًا، ولكل امرىء ما نوى ثوابًا وعقابًا، والنية هي قصد الشيء مقترنًا بفعله، وهي التي تتميز العمل، وتحدد رتب العبادات، وتعيين المقصود به، ثم مثل عليه الصلاة والسلام بالهجرة؛ فمن كانت هجرته لله قصدًا ونيةً، فهجرته إلى الله حكمًا وثوابًا، والهجرة ترك ما نهى الله عنه، وقد تكون هجرة عمل، أو عامل، أو بلد .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن الإخلاص هو استواء السر والعلانية، وهو إسلام القلب لله، ونسيان نظر المخلوق بدوام النظر للخالق، وأول ذلك تنقية القلب من الخواطر الواردات التي تؤثر في إخلاصه، والحرص على إخفاء العمل عن الناس .

٢- ومن فطنة العبد أن يستوقف نفسه قبل عمله؛ فيخلصه لله، ويعظم في عمله النية؛ ليعظم له الأجر .

٣- يجب الحذر من آفات الإخلاص من رياء وسمعة، ومن عجب، ومن طلب الدنيا بعمل الآخرة، فإن من وقعت هذه الآفات في أصل عمله، حبط عمله كله، وأما ما وقع منها في أثناء عمله حبطت الزيادة التي أدخلها على العمل لغير وجه الله .

٤- أشار الحديث إلى أنه من ملهيات الدنيا وشواغلها اتباع الشهوات، وأُكد على هذا المعنى بالخصوص لخطره .

٥- ينبغي للمعلم أن يضرب لطلابه الأمثلة التي تثبت لهم فهم القاعدة .

الحديث الثاني:

عن عمر (رضي الله عنه) أيضاً قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمّد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق. فلبثت ملياً، ثم قال: "ياعمر أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

يسمى هذا الحديث أم السنة؛ لما اشتمل عليه من بيان مراتب الدين الثلاثة: فالمرتبة الأولى: الإسلام ويتعلق بالأعمال الظاهرة، والثانية: الإيمان، ويتعلق بالأعمال الباطنة –حيث ذكرا معًا– والثالثة: الإحسان، ويتعلق بإتقان المرتبتين على درجتين: الأولى: عبادة الرغبة والطلب، والثانية: عبادة الخوف والرهب .

وقد بين الحديث اختلاط الأمور قرب قيام الساعة حتى يكثر الجهل ويعم المال؛ فيشتري الولد أمة الأمة، ويعقها، ويتطاول الجهال بالبنيان .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- إحسان الإسلام: يكون بتحقيق الإخلاص لله تعالى في الأعمال الظاهرة، وقصد تحقيق حكمتها المرادة، وإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بتعلم العلم النافع .

وإحسان الإيمان: يكون بمعرفة النصوص التي أخبر الله بها عن الأمور الغيبية، والتصديق الجازم بها؛ فرجع كذلك للعلم، والتصديق .

وتحقيق الإحسان يكون بتوجه القلب لله تعالى في ذلك كله محبة، وخوفًا، ورجاءً، وذاك كله بمشاهدة أو مراقبة الله

تعالى؛ فهي التي تورث إتقان العمل، وأدائه بخشية لله وإخلاص .

٢- أن من أدب طالب العلم: حسن هيئته، وإصغائه مع معلمه، وسؤاله عما أشكل عليه مما ينتفع به، وحضور مجلس العلم، التيقظ فيها، وإخراج العلم في صورة السؤال والجواب .

٣- محبة المؤمنين للملائكة؛ ولجبريل خصوصًا؛ لأنه الأمين الذي نزل بالوحي، والذي قاتل مع المسلمين في معاركهم ضد الكفار، والذي حرص على تعليمهم دينهم، والذي وصفه الله فقال: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) .

الحديث الثالث:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "بني الإسلام على خمسٍ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث بين أسس الإسلام وقواعده، فبين أن الإسلام كالبناء الذي يحمي صاحبه، وأن أسسه تقوم على خمسة دعائم لا بد من تحقيقها، قال تعالى: (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) الآية .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن تحقيق الشهادتين يقتضي تحقيق التوحيد لله تعالى؛ فلا ينجذب القلب لغير الله، ولا تصرف العبادة إلا لله تعالى، ويقتضي كذلك تحقيق اتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلا يرضى العبد بمنهاج يتبعه غير منهاج النبي صلى الله عليه وسلم، ويحقق أداء السنة في كل شأنه .

٢- ومن أركان هذا الدين العظيم إن ابتلى الله العبد ليختبر صدقه في توحيده وطاعته، فاختبره في عبادة بدنية، وهي الصلاة، ففيها جهد بدني، وأخرى مالية، وهي الزكاة، ففيها بذل محبوب، وأخرى تركية، وهي الصوم، وفيها ترك محبوب، وأخرى مركبة من ذلك كله وهي الحج، فمن صدق الله في هذه فقد فاز .

٣- وفي الحديث ضرب المثل المحسوس لطالب العلم؛ ليفهم المسألة، ويحسن تصورها .

الحديث الرابع:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: حدّثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكَتْب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحد كم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث أصل من أصول القدر، حيث بين مبدأ خلق الإنسان وخاتمته، فبين مراحل تطور خلق الإنسان، وكتابة ما يجري عليه من مقادير الحياة، من أجل، وعمل، ورزق، وهداية أو شقاوة، وأن العبد إنما يعمل فيما قدر له، فلا يجوز له الاتكال على القدر، بل يعمل وكل ميسر لما خلق له .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- الإيمان بالقدر، هو الذي يورث في المسلم بالرضا بأقدار الله، فيصبر ويقنع، والشجاعة في الحق؛ فلا يجبن ولا يبخل .

٢- الخوف من سوء الخاتمة، ففي الحديث علاج للكبر بذكر مبدأ الخلقة، وعلاج للعجب بذكر حال الخاتمة، وفيه كذلك التنبيه على صدق التوجه لله تعالى بخبايا الأعمال الصالحة، قال ابن رجب: " دسائس السوء الخفية توجب سوء الخاتمة " .

٣- ينبغي للمعلم أن يحسن توضيح المسائل للطلاب، وأن يحرص على روعة تصويرها .

الحديث الخامس:

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". (رواه البخاري ومسلم) وفي رواية لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين العامة، وميزان للأعمال الظاهرة؛ فيقاس صلاح العمل ظاهرًا بحسب لزوم صاحبه لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من ابتدع بدعة في هذا الدين فبدعته مردودة عليه؛ سواء

أنشأها هو؛ كما يدل عليه لفظ: أحدث، أو اتبع غيره ممن ابتدعها؛ كما يدل عليه لفظ: عمل عملاً .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أهمية معرفة السنة، وفقه معانيها ومقاصدها؛ لئلا يخرج العبد عن دائرة الاتباع إلى الابتداع، والحديث أصل في طلب الدليل وإتباعه بعد ثبوته .

٢- الحذر من أهواء النفوس، وما تستحسنه العقول، من كل ما لم تأتِ السنة به، ولزوم هدي السلف الصالح رحمهم الله؛ فإن النفس ما تزال تحدث لها أمور، حتى تخلع ربقة الاتباع، قال تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

٣- أنه ينبغي للمعلم أن يبين للمتعلمين الأصول العامة التي تنبني عليها الأحكام؛ ففي الحديث بيان أن الأصل في العبادات الحظر، وأن الأصل في النهي الفساد .

الحديث السادس:

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إن الحلال بيّن، وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد

استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث يؤصل لضرورة التزام الورع، والورع هو ترك ما قد يضر في الآخرة، ويبين أن على المسلم تجنب الوقوع في الشبهات، والشبهات تشمل: ما يظن أنه حرام، وما يقارب من الحرام ويحوم حوله، وفي هذا الاجتناب سلامة للدين من الوقوع في الزلل، وسلامة للعرض من تطاول السفهاء .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- الحرص على البعد عن مواطن الشبه والتهم، قال علي رضي الله عنه: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فرب سامع نكرًا، لا تستطيع أن تسمعه عذرًا .

٢- ضرورة الاعتناء بالقلب، فمن مهمات الأمور أن يمتلأ قلب العبد بالورع وخوف الوقوع في الحرام، فإن القلب إذا أكثر الوقوع في الشبهات أظلم عليه نور العلم، فوقع في الحرام،

والنفس إذا قربت من المخالفة تدرجت إليها حتى تخلع ربقة التقوى، قال تعالى: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) .

٣- أن أكل الحلال الخالص، له أثر على الإيمان والقلب؛ لذا ذكر في أول الحديث: الحلال والحرام، وفي آخره: صلاح القلب وفساده، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عما يلين القلب فقال : " أكل الحلال ".

٤- في الحديث تأكد على قاعدة سد الذائع .

الحديث السابع:

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "الدين النصيحة"، قلنا لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

حصر هذا الحديث الدين في النصيحة، وهي إرادة الخير للغير، وفرّع النصيحة إلى خمسة أقسام: نصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، ولعامتهم، وتتوزع على الإجلال والتعظيم بالقلب، والقيام بالحقوق الواجبة بالقول والفعل .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- الاعتناء بخلق النصيحة، وإشاعته في حياة المسلم؛ ليعيش صادق القلب لإخوانه المسلمين، وليقوم بحقيقة الاستخلاف في الأرض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢- الحذر من أخلاق الغل، والحقد، والغش للمسلمين .

٣- والحديث يدل المسلم على ضرورة ترتيب الأولويات، وإعطاء كل ذي حق حقه من غير أن يطغى جانب على آخر.

٤- ويبين أن من أساليب التعليم الناجحة طريقة التفصيل بعد الإجمال، واعتماد طريقة التقسيم لتقريب العلم .

الحديث الثامن:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث بيان لحرمة المسلم، وأن حرمته تتحقق بإيمانه بالله ورسوله، والتزامه بأداء حقوق الإسلام، من إقام للصلاة وأداء للزكاة، وأن العصمة تترتب على ذلك ما لم يقع في موجب لاستحلال دمه .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- بيان حرمة دم المسلم المعصوم، وأخذ الناس بظواهرهم، وتوكيل السرائر إلى الله .

٢- مشروعية الجهاد، وأنه ماضٍ إلى قيام الساعة، وأن الغاية منه نشر دين الله في الأرض؛ حتى يعبد لا يشرك معه أحد، لا مجرد الانتقام، ولا لطلب العلو في الأرض .

٣- وفيه أهمية إقامة شعائر الإسلام الظاهرة، من توحيد، وصلاة، وزكاة، وجهاد، وبقية حقوق الإسلام، وترتب القتال والهجرة على من منع منها .

الحديث التاسع:

عن أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث في بيان قاعدة عظيمة من أصول الدين، وهي التسليم لنصوص الكتاب والسنة، فما نُهي عنه اجتنب بالكلية، وما أمر به عمل العبد على حسب استطاعته، قال تعالى: (واتقوا الله حق تقاته)، وقال: (واتقوا الله ما استطعتم) .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- يجب على العبد أن يسلم للأوامر والنواهي الشرعية، وأن يترك البحث عن الرخص، وتقصد الاختلاف، ومخالفة النصوص .

٢- والحديث يربي في المسلم العمل، وترك الكلام، والتعنت، والجدال بالباطل، وألا يكثر طالب العلم من السؤال؛ كحال الصحابة رضي الله عنهم .

٣- أهمية اعتناء الداعية بتعظيم اتباع الناس للأوامر، وأن يكون تفصيله فيها أكثر من عنايته بالتحذير من المنهيات؛ لأن ترك الأوامر مداره على اتباع الكبر، وهو أشد من فعل المنهيات الذي مداره على اتباع الشهوات.

٤- اعتناء طالب العلم بالتفقه في الدين عن طريق تعلم النصوص الشرعية والتلقي من أهل العلم بالأصالة، ثم السؤال عما يشكل عليه، وسؤال العلم على أقسام: الأول: سؤال من يريد

العمل بما وجب عليه، وهو واجب، والثاني: سؤال من يريد التفقه في الدين، وهو فرض كفاية، والثالث: السؤال عن الشيء المتشابه، وما لم يفرض ليفرض على الأمة، أو لقصد الجدال والتعنت، وهو من السؤال المذموم .

الحديث العاشر:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

أفاد هذا الحديث أن الله تعالى تنزه عن النقائص، واتصف بالطيبات، وأحب من عباده أن يلتزموا هذا الهدي :

- فإذا أرادوا قبول صدقاتهم؛ فلينفقوا من الطيب: لا من حرام، ولا من شبهة، ولا من رديء .
- وإذا أرادوا قبول دعائهم؛ فليطعموا الطيب الحلال الذي لا شبهة فيه .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- يجب على العبد شكر نعم الله، وشكر النعم يكون بالعمل الصالح؛ لذلك أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله﴾ .

٢- أن على العبد أن يتحرى أسباب قبول طاعاته، من إخلاص، وتقوى، وأكل للحلال، فقد ذكر الحديث خمسة أسباب من مظنة قبول الدعاء: إطالة السفر، وانكسار الداعي، ورفع اليدين للسماء، والتوسل بالربوبية، والإلحاح في الدعاء، ومنع مانع واحد من قبوله .

٣- أكل الحلال يعين على عمل الصالحات ولهذا قرن الله بينهما، ويعين على إجابة الدعاء .

الحديث الحادي عشر:

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وريحانته رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك". (رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث بمعنى حديث إن الحلال بين، وهو يؤكد على الحرص على التورع من المحرمات، وهذا على درجتين:

الأولى: أن يترك ما يشك فيه إلى ما لا يشك فيه .

والثانية: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ". ضعيف أخرجه الترمذي وابن ماجه غاية المرام – (١ / ١٣٠).

الفوائد التربوية من الحديث :

١- تربية المسلم نفسه على أن يربي نفسه على ترك كل ما يدعو للقلق .

٢- التأكيد على خلق الورع .

الحديث الثاني عشر:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه". (حديث حسن رواه الترمذي وغيره هكذا)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث أصل من أصول الأدب، وقد عده أبو داود من أربعة أحاديث عليها مدار الإسلام، قال الحسن: من علامة إعراض الله عن العبد أن

يجعل شغله فيما لا يعنيه، والمقصود بالحديث ترك المسلم لكل ما يشغله عن أمور دينه، وما يحتاجه من دنياه .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن إسلام الناس يتفاوت؛ فمنهم من حسن إسلامه، ومنهم من لم يحسنه .

٢- من آفات انشغال العبد بما لا يعنيه: عدم حضور القلب عند الطاعات، ووقوع الخصام والجدال...

٣- في الحديث حث على استثمار الوقت فيما يعود بالنفع للعبد في دينه ودنياه، والاشتغال بمعالي الأمور، وتجنب سفسافها .

الحديث الثالث عشر:

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث أصل في الأخوة الإيمانية، ولها ضابطان :

الأول: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهذا هو العدل الواجب .

والثاني: أن يحب لأخيه أكثر من نفسه، وهذا هو الإيثار، وهو مندوب في الأمور الدنيوية .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن الإيمان يتفاضل، ومن منقصات الإيمان الحسد والأنانية وكره الخير للمسلمين .

٢- أن المسلم لا يتمنى زوال النعمة لأخيه، ولا يكره ما يقسمه الله له .

٣- أهمية توثيق الروابط بين المؤمنين .

الحديث الرابع عشر:

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث يؤكد ويبين ما جاء في حديث: أمرت أن أقاتل الناس، وإن كان ذاك في المقاتلة، وهذا في القتل، وقد بين عصمة دماء المسلمين إلا بواحدة من الثلاث المذكورة .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- حكمة الله تعالى؛ حيث شرع الحدود لحفظ الضروريات الخمس للنفس البشرية .

٢- أن حفظ العادات يدخل في حفظ العقل والنفس، وأعظم اعتداء عليها القتل العمد؛ فاستحق أعظم عقوبة وهي القتل قصاصًا، وأن حفظ المعاملات يدخل في حفظ المال والعرض، وأن أعظم اعتداء عليها زنا المحصن؛ فاستحق القتل، وأن حفظ العبادات راجع لحفظ الدين، ومن ترك دينه، أو خرج على جماعة المسلمين بإحداث أو بغي استحق القتل .

الحديث الخامس عشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث جمع ثلاثة آداب جليلة، وهي تدور على الإحسان للناس وكف الأذى عنهم :

- فيحسن للناس في قوله، ويصمت عن أذيتهم .
- ويحسن للناس بماله، ومثل لذلك بإكرام الضيف .

- ويجسن للناس بحسن خلقه، ومثل لذلك بالجار .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن العبد الفطن هو الذي يفكر في كلامه قبل أن ينطق به؛ فمن صمت نجا .

٢- أن فعل المؤمن يتعدى للجار القريب، وللضيف البعيد .

٣- دل الحديث على أن الإسلام يحارب البخل ولذلك كررت كلمة " فليكرم " مرتين في الحديث .

٤- ومن أعظم أساليب التربية: تعليق الناس بالإيمان بالله واليوم الآخر، وزرع المراقبة في قلوبهم .

الحديث السادس عشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : أوصني، قال: "لا تغضب"، فردّد مراراً، قال: "لا تغضب". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث جاء لبيان ضرورة ضبط نوازع النفس البشرية، فالنفس البشرية تتنازعها ثلاث شهوات: شهوة غضبية، وشهوة شهوانية، وشهوة هوى .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- الوصية بترك الغضب هي وصية للابتعاد عن أسبابه، من كبر وجدال ومزاح، وآثاره، بالاستعاذة وتغيير المجلس أو الجلسة .

٢- طلب الوصية من العلماء والأخيار .

٣- ينبغي للمفتي والمعلم أن يراعي حال المستفتي والمتعلم، ويخاطبه بحسب حاله .

الحديث السابع عشر:

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة؛ وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

بين هذا الحديث أن المسلم مأمور بإتقان جميع أعماله الدينية، والدنيوية، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالاً يبين به عموم الإحسان حتى إلى البهيمة المذبوحة .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن من طرق الإحسان تفقد الآلات وطلب الرفق .

٢- ضرب المثال في التعليم قد يبين أحيانًا معنى ما يراد بيانه، وقد يبين أحيانًا المستوى الذي يطالب به .

الحديث الثامن عشر:

عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن". (رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح)

الشرح الإجمالي للحديث :

بين الحديث حق الله، وحق النفس، وحق الناس، ووضع رادعًا، وضابطًا، وعلاجًا؛ فذكر هذا الحديث طريقة تعامل المسلم مع ربه، ومع الناس؛ فيتعامل مع ربه بامتثال تقواه، ومع الناس بالتخلق معهم بالأخلاق الحسنة، وإذا قصر في أحد الحقين لجأ إلى إصلاح الخطأ بالتوبة وفعل الحسنة الماحية .

وقد قيل في تعريف التقوى: أن يجد الله حيث أمرك، ويفقد حيث نهاك، وقيل: في تعريف حسن الخلق: بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- ضرورة استحضار مراقبة الله حيث كان العبد هو الذي يثمر تقوى الله تعالى، (ما تكون فيه من شأن ..).

٢- السعادة في التعامل مع الناس أن تتعامل معهم لله، قال ابن تيمية رحمه الله: "والسعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله؛ فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافئتهم، وتكف عن ظلمهم خوفًا من الله لا منهم " .

٣- الإسلام يربي في النفس المبادرة في الفعل؛ فيكون المسلم هو الذي يبادر في فعل الحسنة بعد السيئة، ويبادر في معاملة الناس بخلق حسن .

الحديث التاسع عشر:

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي (صلى الله عليه وسلم) يوماً، فقال لي: "يا غلام إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف". (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح)

وفي رواية غير الترمذي: "احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً".

الشرح الإجمالي للحديث :

قال بعض العلماء : " تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه". هذا الحديث يبين عدة المسلم عند الشدائد:

١- أن يمتثل أوامر الله قبل وقوع الشدائد، وتأمل قصة الغريقين: يونس عليه السلام، وفرعون الهالك .

٢- أن يوجه سؤاله واستعانته بالله وحده عند وقوعها .

٣- أن يتحلى بالصبر واليقين بعد سؤال الله تعالى، وحتى انكشافها .

ومن ثمرات ذلك: أن يحفظ من المصائب: (يحفظك)، وأن يعان في أموره: (تجده تجاهك) .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن الدنيا دار ابتلاء ومحن، وأن على المسلم أن يعلم أن هذه المحن اختبار له، وعليه أن يجتازه .

٢- تعلق العبد بالله تعالى وخصوصًا عند الشدائد؛ كمرض، وهم، وحيرة ...

٣- تلطف المعلم لمعلمه: بتقريبه منه، ومناداته، وتخصيصه بالعلم، ولفت انتباهه قبل إلقاء المهم من العلم، والاهتمام بتربية الصغار، وبذل العلم للكبير والصغير،

٤- فيه أهمية اهتمام المربين بأمر العقيدة ، فهذه الكلمات جميعها من أمور العقيدة، وهي التي تبعث الشجاعة، واليقين، وعلو الهمة .

الحديث العشرون:

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت". (رواه البخاري)

الشرح الإجمالي للحديث :

قال النووي: " وعلى هذا الحديث يدور مدار الإسلام كله"؛ لأنه في بيان خلق الإسلام، والمقصود من الحديث أن يتخلق المسلم بترك كل ما يستحي منه؛ لنظر الله أو لنظر الناس .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- تربية خلق الحياء في نفس المؤمن، والحياء فطري، ومكتسب، ويكتسب بمطالعة العبد لجانب التقصير منه، والمنة من الله عليه .

٢- أن أصول الأخلاق مما اتفقت عليه جميع الشرائع .

الحديث الحادي والعشرون:

عن أبي عمرو، وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنت بالله ثم استقم". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها الرسول ﷺ، ومن أحاديث الوصايا كذلك، وقد طلب منه السائل قولاً جامعًا لمعاني الإسلام؛ لا يحتاج لئن يسأل بعده أحد، وواضحًا لا يحتاج إلى أن يطلب تفسيره من أحد، فأرشده الرسول ﷺ إلى كلمتين: الأولى: الإيمان بالله تعظيمًا وخوفًا ورجاءً ومحبةً وإنابةً، والثانية: الاستقامة على شرع الله تعالى، وحقيقة الاستقامة: لزوم فعل المأمورات وترك المنهيات من الاعتقادات والأقوال والأفعال، وهذا ظاهر في قوله: (قل): وهو فعل اللسان، (آمنت): وهو

فعل القلب، (ثم استقم): وهو فعل الجوارح، قال تعالى: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- حرص طالب العلم على الأسئلة الهامة التي يترتب عليها العلم والعمل، والتزكية والإيمان .

٢- أهمية تجديد الإيمان في قلب العبد حينًا بعد حين، قال النبي ﷺ: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى: أن يجدد الإيمان في قلوبكم"، رواه الطبراني عن عبد الله بن عمرو .

٣- تحصل الاستقامة: بتجديد الإيمان في القلب، وقطع العلائق (المألوفات والمحبوبات من دون الله) والعوائق (الصوارف).

٤- أن أعظم ما يمن به الله تعالى على العبد لزوم الاستقامة، فلا يحدث الانتساب الحقيقي إلى منهج أهل السنة والجماعة إلا باستقامة صادقة، قال ابن تيمية رحمه الله: حقيقة الكرامة لزوم الاستقامة.

الحديث الثاني والعشرون:

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: "أن رجلاً سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: أرأيت إذا صلّيت المكتوبات،

وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرّمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة ؟ قال: نعم". (رواه مسلم)

ومعنى حرّمت الحرام: اجتنبته، ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقداً حلّه.

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث يبين أعظم غاية يسعى لها المسلم وهي رضا الله ودخول الجنة، وقد بيّن النبي ﷺ أن طريق الجنة في المحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات، والمحافظة على صيام رمضان، وخصهما ﷺ لأنهما غالبًا يجبان على كل مسلم، مع التزام شرع الله تعالى في اعتقاد تحليل الحلال، واعتقاد تحريم الحرام، مع اجتنابه؛ فإن لم يحرم الحرام فهو كافر، وإن حرمه ولم يجتنبه فهو فاسق .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن بداية الاستقامة تكون بالتزام شرع الله أمره ونهيه، وأداء الفرائض على أتم وجهٍ دون نقص .

٢- أن الفرائض هي الأصل، أما النوافل ففيها ما يُعين على إتمام الفرائض ويُكمل تقصها، كما أنها تزيد العبد قربًا من الله، وفي الحديث القدسي: "ما تقرب عبدي إليّ بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ".

٣- مراعاة التدرج في تزكية النفس، وفي تربية الغير، وفي إجابة السائلين .

٤- في الحديث دليلٌ على أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن أهله فيه يتفاوتون .

الحديث الثالث والعشرون:

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو؛ فبائع نفسه، فمعتقها، أو موبقها". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

الإيمان تخلي وتحلي، والطهارة هي التخلي عن الرذائل من الاعتقادات الأفعال والأقوال والأخلاق، فكانت نصف الإيمان، وطريق تحقيق الإيمان هو تحقيق توحيد الله وحسن عبادته، ومما يعبن على تحقيق توحيد الله تعالى تنزيهه سبحانه عن النقائص؛ وهو مقتضى قول العبد: (سبحان الله)، ووصف الله تعالى بالكمالات؛ وهو مقتضى قول العبد: (الحمد لله)، فيلفظها بلسانها مستحضرًا معناه بقلبه، ومما يعين العبد على تحقيق الأعمال الصالحة : الاستعانة بالصلاة فهي نورٌ يستضيء بها العبد:

نور وهداية له في الدنيا والآخرة، ونورٌ يظهر على وجهه وقوله وفعله، والاستعانة بالصبر والثبات على الطاعة وترك المعصية وحسن الأدب مع الله عند وقوع البلاء، والصبر على ما فيه من مشقة؛ لأجل ما فيه من الضياء الذي يهدي الله به العبد، قال تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة)، والاهتداء بالقرآن وأحكامه ومواعظه وقصصه فهو القوة الإيمانية التي يعتمد عليها العبد ويحتج بها على غيره، ومما يعين العبد كذلك على الثبات: تقديم المحاب طلبًا لمحبة الله، فإذا سئل العبد يوم القيامة عن صدق محبته لله كانت أعماله وصدقاته براهين في إجابة هذا السؤال .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن الناس في هذه الحياة الدنيا على قسمين: الأول: من دان نفسه وعمل لما بعد الموت؛ فسعى في أسباب نجاتها وعتقها، والثاني: من توانى عن ذلك حتى أهلك نفسه وأوبقها في معاصي الله، قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى).

٢- أن يعلم العبد أن الحرية الحقيقية هي الالتزام بطاعة الله تعالى، والهروب من رق الشيطان، قال ابن القيم رحمه الله:

هربوا من الرق الذي خلقوا له وبلوا برق النفس والشيطان

الحديث الرابع والعشرون:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه –عزّ وجلّ– أنه قال: "ياعبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً؛ فلا تظالموا. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته؛ فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني؛ فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

في هذا الحديث القدسي العظيم بيان سبيل تحقيق توحيد الله تعالى، وإنما يتحقق التوحيد بنفي الشركة بين الخالق والمخلوق، ومعرفة عظيم صفات الخالق وفعله وحقه وغناه، وذلة صفات العبد وفعله وفقره، فالله تعالى هو الغني الرزاق خزائنه ملأى سبحانه لا ينقصها قضاء حاجات عباده ولا إجابات طلباتهم، وهو الغني العزيز لا يبلغ الخلق أن يضروه أو ينفعوه، وهو الغني مالك الملك لا يحتاج إلى عبادة خلقه وطاعتهم، ولا تضره معصيتهم، والعبد هو الفقير إلى الله، فقيرٌ إلى الله لسد جوعته، وفقيرٌ إلى الله لستر عورته، وفقيرٌ إلى الله لجلب هدايته، وفقيرٌ إلى الله لمغفرة ذنبه .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- هذا الخطاب الإلهي يربي في العبد محبة الله، ومراقبته، وتقواه، واليقين على ما عنده، ورجائه، وتعظيمه، وغير ذلك من عبادة القلوب .

٢- أن من هدي الدعاء أن يلجأ العبد في دعائه إلى تعظيم الله تعالى والثناء عليه، وإظهار فقره وعجزه، وتعظيم الرغبة والمسألة له سبحانه، واليقين بوعده عز وجل .

٣- وفي الحديث كلك: الدعوة إلى ذم النفس وهضمها، وترك مدحها والاغترار بها، فإذا وفق العبد لطاعة فليسندها إلى الله تعالى وتوفيقه، وليتبرأ من حوله وقوته، كما فيه كذلك منع غرور وطغيانها في ظلم العباد، والتعدي على حقوقهم.

٤- الدعوة للعمل الصالح والسعي في أسبابه، فما حصل من خيرٍ بعد ذلك فهو من توفيق الله تعالى للعبد، وما حصل من سوء وتقصير فهو من عجز العبد وتفريطه، قال ابن تيمية رحمه الله : والذنوب من لوازم النفس، وهو محتاج إلى الهداية كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب .

الحديث الخامس والعشرون:

عن أبي ذر رضي الله عنه أيضاً: أن ناساً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالوا للنبي (صلى الله عليه وسلم) : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: "أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؛ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا

شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

في هذا الحديث فتحٌ لباب المعروف، وإيضاحٌ لمعنى الصدقة التي يؤجر عليها العيد، فمنها الصدقة المالية، ومنها الصدقة القولية؛ كذكر الله تعالى و الدعوة لطاعته، ومنها الصدقة التركية كالصيام، واجتناب الحرام، ومنها الصدقة الفعلية كالصلاة، ووضع الشيء موضعه الذي أمر الله به، ومنها الصدقة المركبة من ذلك كله؛ كالحج .

الفوائد التربوية من الحديث :

١. حرص فقراء المهاجرين على الخير، وبكاؤهم لما سبقهم غيرهم لطاعة الله، فكان همهم الأكبر ليس في التكاثر في الدنيا، ولكن في التسابق إلى طاعة الله، قال تعالى عنهم: (وعلى الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون) .

٢. على العبد أن يسابق غيره في جمع الحسنات، وتكثيرها، وتعظيمها، وتحسينها، والمحافظة عليها، وأن ينوع طاعاته، ويسابق في سائر أبواب الخير، وينافس فيها، بل ويحرص أن تكون له نية صالحة حتى في فعل المباحات.

٣. حسن تعليم النبي ﷺ أصحابه؛ بذكر الحكم، وذكر دليله وتعليله، وفي فتحه أبواب الخير لمن طلبها .

٤. محبة الصالحين، وإحسان الظن بقبول الله حسناتهم، وعدم اتهامهم في نياتهم أو سبهم أو تمني زوال النعم عنهم.

الحديث السادس والعشرون:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة". (رواه البخاري ومسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

شكر عبادة الله يكون بتسخير القلب واللسان والجوارح في طاعته سبحانه، ويحصل ذلك بأداء العبادة وتحقيقها، من كلمة طيبة ينشر بها الخير في الناس أو يذكر بها الله تعالى، أو خطوة طيبة يكثر فيها جمع المسلمين على الطاعة ويطيع فيها الله، ويحصل كذلك بالإحسان إلى العباد؛ بجلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم، كالإصلاح بينهم، وإعانتهم، وإماطة الأذى عن طرقهم .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- وجوب شكر نعم الله تعالى، كنعمة البقاء والعافية، ومنها شكر يومي؛ كما جاء في هذا الحديث، ومنه شكر سنوي؛ شكر نعمة الله على العبد في إبقائه سنة؛ بأداء زكاة الفطر، وشكر نعمة الله بإتمام الدين وأركانه؛ بنحر الأضحية.

٢- يربي هذا الحديث في نفس المسلم خلق التواضع، وتحمل المسئولية، ويذكي جانب الأخوة الإيمانية بين المؤمنين.

٣- أن الطاعات تشمل ما فيه عبادة لله محضة، وما فيه نفع للمسلمين، ويتفاوت أجرها؛ بتفاوت تحقيق الإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ، وبقدر مصالحها المترتبة عليها؛ لذا كان العبادة المتعدية خير من العبادة القاصرة .

الحديث السابع والعشرون:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنهما عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "البر حسن الخلق، والإثم ماحاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس". (رواه مسلم)، وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: "جئت تسأل عن البر؟ قلت نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس

وأفتوك". (حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين: أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن)

الشرح الإجمالي للحديث :

في هذا الحديث يقعد النبي ﷺ قاعدة عظيمة عند اشتباه الأمور على المؤمن، فلم يميز الحق من الباطل، فإنه يراجع نفسه المطمئنة؛ فما اطمأن له قلبه فعله، وما تردد في صدره فيتركه ويجتنبه، فإن للحق نور تسكن له النفس، وفي الباطل شك وقلق تنفر منه النفس، (وهذه علامة باطنة)، ثم يراجع أخيار الناس وصالحيهم فإن أمروه به فعله، وإن نهوه عنه تركه، (وهذه علامة ظاهرة)، ومن أمثلة ذلك: قبول هدية من غالب ماله حرام، أو التصرف في وديعة عنده .

الفوائد التربوية من الحديث :

١. البر هو القيام بحقوق الله (ومثل له بطمأنينة القلب) وحقوق العباد (ومثل له بحسن الخلق)، ففي الحديث عظم شأن حسن الخلق؛ حتى جعله النبي البر كله؛ أي أعظم خصال البر وقد عرف بعض السلف حسن الخلق فقال: حسن الخلق شيء هين، وجه طلق وقول لين .

٢. أن المؤمن يحرص على إخفاء عيوبه من الناس، وهو في هذا كذلك لا يجعل الله أهون الناظرين إليه، قال النبي ﷺ: "أوصيك أن تستحي من الله تعالى كما تستحي من الرجل الصالح من قومك "، رواه الطبراني، وصححه الألباني .

٣. أن المؤمن المكثر من أعمال البر يجد في قلبه السكينة والطمأنينة، وأما العاصي فيجد في قلبه الحيرة والحرج والضيق، وكلما ازداد البار من بره زادت سكينة قلبه، وكلما زاد العاصي في معصيته زاد ضيقه وحرجه .

الحديث الثامن والعشرون:

عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظَنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) موعظةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع، فأوصِنا، قال: أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار". (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح)

الشرح الإجمالي للحديث :

كانت موعظة النبي ﷺ لأصحابه مؤثرة في أسلوبها وإلقائها، وكانت كذلك متضمنة لأصول الدين وأعظم الوصايا؛ وتلخصت في ثلاث وصايا: ١- الوصية بالتقوى، وهي أعظم الوصايا، قال تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ)، والثانية: لزوم الجماعة والسمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف، والثالثة: التمسك بهدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، وترك المحدثات والبدع .

الفوائد التربوية من الحديث :

١. تأكيد النبي ﷺ عند اختلاف الناس الاختلاف الكثير على التمسك بالسنة، ومن أهميتها أن النبي ﷺ أكد على العض عليها بالنواجذ، وترك المحدثات، ومن خطرها أن كلها ضلالة، وأن كل ضلالة تدعو إلى النار .
٢. طلب الوصية من أهل العلم؛ وخصوصًا عند الوداع، والحرص على استماع المواعظ التي تؤثر في القلب .
٣. كلما ابتعد الناس عن زمن الوحي كلما ازدادوا فرقة، والواجب الاجتماع العقدي المنهجي على السنة، والاجتماع البدني على ولاة الأمور .

الحديث التاسع والعشرون:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ ﴿يعملون﴾ ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، وقال: كفّ عليك هذا، قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم". (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث من أحاديث الوصايا، وهو جواب سؤال عظيم عما يدخل الجنة ويباعد عن النار، وهذا هو الفوز الحقيقي، ولخصه في أربعة جمل: الأولى: إقامة فرائض الإسلام الخمسة، والثانية: السعي في أبواب الخير الثلاثة: الصوم النافلة، والصدقة، وصلاة الليل، ففيها وقاية من النار،

ومن الذنوب والمعاصي، والثالثة: في بيان بنيان الدين (وقد شبه بالفحل من الإبل): فرأسه الإسلام، وعموده الصلاة، وأعلاه الجهاد، والرابعة: في الجامع لهذا: هو كف اللسان عن الحرام .

الفوائد التربوية من الحديث :

١. أن أمر هذا الدين عظيم، لكن في دعاء الله وتقواه ما ييسر على العبد الأخذ بهذا الدين .

٢. الحث على أعمال السر، فهي المنجية، والحذر من خطر آفات اللسان فهي المهلكة، وكل ذلك حصاد الأعمال؛ إن كانت خير فخير، وإن كانت شر فشر .

٣. عرض الداعية لدعوته في الأساليب الشيقة: (ألا أدلك على ابواب الخير ؟)، ويحرص على التشويق، والتشجيع، والتيسير على الناس، والاستشهاد بالقرآن في كلماته، والتعليم بالوسائل المقربة، والزيادة في الجواب على السؤال بحسب حاجة السائل واستعداده

الحديث الثلاثون:

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " إن الله تعالى فرض فرائض فلاتضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها". (حديث حسن رواه الدارقطني وغيره)

الشرح الإجمالي للحديث :

قسم النبي ﷺ في هذا الحديث شرائع الدين إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: قسم الفرائض، والثاني: الحدود، والثالث: المحرمات، والرابع: ما سكته عنه سبحانه رحمة بالناس، فالأول: واجب الاتباع، والثاني: لا ينقص فيه ولا يزاد، والثالث: لا يرتكب ولا يقترب منه، والخامس: لا يسأل ولا يبحث عنه.

الفوائد التربوية من الحديث :

١- النهي عن الغلو في الدين، والنهي كذلك عن التشديد دون دليلٍ .

٢- أن كل ما لا أصل له في التحريم، ولا أصل له في الوجوب حكمه العفو .

٣- خطر القول على الله بغير علم، وخطر الفتوى .

الحديث الحادي والثلاثون:

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله دلّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس". (حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة)

الشرح الإجمالي للحديث :

الزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، أما الورع فهو ترك ما يضر في الآخرة، فالزهد أعلى رتبة، وحقيقته: الاكتفاء بالكفاية من الدنيا، وعدم طلب الكفاية أو الفرح بالزيادة، قال تعالى: (وفرحوا بالحياة الدنيا)، وبه يحصل العبد على محبتين: محبة الله، ومحبة العباد؛ فمن لم يعلق قلبه بالدنيا تعلق قلبه ولا بد بالآخرة .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- الطمع في الدنيا يؤدي إلى بغض الله للعبد، فحب الدنيا رأس كل خطيئة، كما أن الطمع فيما بين أيدي الناس يجعل العبد مبغوضًا عند الناس .

٢- على العبد أن يسعى في أن يكون محبوبًا عند الله، وعند الناس، لكن الفتنة تقع عند تعارض المحبتين؛ فمن قدم محبة الله على كل شيء سعد .

الحديث الثاني والثلاثون:

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا ضرر ولا ضرار". (حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فأسقط أباسعيد، وله طرق يقوي بعضها بعضاً)

الشرح الإجمالي للحديث :

اختلف في معنى الضرر والضرار على ثلاثة أقوال:

١- الضرر: أن تضر من لم يضرك، والضرار أن تضر من ضرك .

٢- الضرر أن تضر غيرك من غير قصد، والضرار أن تضره مع القصد .

٣- الضرر أن تضر غيرك لأجل منفعة لك، والضرار أن تضر غيرك دون منفعة تعود إليك .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- في الحديث دليل على يسر الشريعة، ورفع الحرج عن الناس .

٢- مراعاة الآخرين واحترامهم وعدم الاعتداء عليهم .

الحديث الثالث والثلاثون:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى رجال أموال قوم ودماءهم، لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر". (حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث قاعدة عظيمة في القضاء بين الناس، وتتعلق بالقضاء ثلاثة إضافات: ما يضيفه الإنسان لغيره على الغير وهي شهادة، وما يضيفه الإنسان على نفسه لغيره، وهو الإقرار، وما يضيفه الإنسان لنفسه على غيره، وهي الدعوى، وقاعدة فصل القضاء في الدعاوى: أن البينة وهي

كل ما يُبين الحق ويوضحه يطالب بها المدعي، فإن أتى بها حكم له، وإن عجز عن إقامتها كلف المدعى عليه باليمين؛ فإن حلف حكم له، ويستثنى من ذلك اللعان والقسامة حيث يحكم باليمين للمدعي .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- حرص الشرع على حفظ أموال الناس ودمائهم .

٢- تعظيم أمر اليمين، والتأكيد على الرضا المحلوف له بها تعظيمًا لله .

٣- لا يحكم المسلم بمجرد الشائعات، أو مجرد الظنون؛ لأن الأصل براءة الذمة .

الحديث الرابع والثلاثون:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

أجمع العلماء على وجوب الأمر بالأمر والنهي عن المنكر، وقد قسمهما النبي في هذا الحديث إلى ثلاثة مراتب: مرتبة الإنكار باليد، ثم مرتبة الإنكار باللسان، ثم مرتبة الإنكار بالقلب .

وإنكار المنكر يشترط له: رؤية، وعلى المجمع عليه، أو ما خلافه ضعيف، ويكون حال فعل المنكر، ويكون باليد واللسان والقلب، ويكون سرًا أو

جهرًا حسب المنكر، أما النصيحة فتكون لمن علم بالمنكر، ولم يدرك وقوعه، وتكون باللسان، وتكون كذلك سرًا .

الفوائد التربوية من الحديث :

١. أن الإيمان يتفاوت، ويزيد وينقص، وفي الحديث دليل على أن من لم ينكر المنكر بقلبه فقد ذهب عنه أدنى الإيمان.

٢. وجوب تحمل المسئولية في معالجة الأخطاء، وتشجيع أفعال الخير

الحديث الخامس والثلاثون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولايبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ههنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه". (رواه مسلم)

الشرح الإجمالي للحديث :

في هذا الحديث الأمر بحقوق الأخوة الإسلامية، والنهي عن كل ما يخدشها من أفعال القلب أو اللسان أو الجوارح؛ فمن الدخائل القلبية التي تفسد الإخوة: الحسد، والتباغض، ومن أفعال اللسان: الكذب و الاحتقار، والنجش، والبيع على بيع المسلم، ومن أفعال الجوارح: التدابر، والظلم، والتخاذل عن النصرة، وهذا كله يتفرع على حفظ حقوق المسلم الثلاثة؛ فيترك ظلم أخيه المسلم أو ترك نصرته فيما يتعلق بحفظ دمه، وماله، وعرضه .

وإذا أراد المؤمن أن يجتنب هذه الأخلاق السيئة؛ فليجتنبها و ليجتنب أسبابها وآثارها؛ فمن أسباب التباغض: النجش، وبيع المسلم على بيع أخيه، ومن آثاره التدابر والاحتقار .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- يجب أن تراعى في المعاملات الدنيوية بين المسلمين معاني الحقوق الإسلامية .

٢- أن محل التقوى القلب، ولا بد أن تظهر آثار هذه التقوى على الجوارح، وأن القلب إذا امتلأ بالهوى أوقع صاحبه في الحسد والبغض والظلم لإخوانه المسلمين .

٣- أن من تقوى الله تعالى حفظ حقوق المسلمين .

الحديث السادس والثلاثون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه". (رواه مسلم بهذا اللفظ)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث يدل على جوامع ثلاثة من جوامع الخير ، ينبغي على العبد أن ينافس فيها :

الأولى: السعي في العمل الخيري نفعًا للناس، من تفريج الكروب، وعون المحتاجين، وستر المسلمين، ولو نفس أي خفف، ولم يزل بالكلية .

والثانية: السعي في العمل التعليمي والدعوي، ويشمل ذلك طلب العلم بطرقيه الحسي والمعنوي؛ كالحفظ والمراجعة، ويشمل كذلك بث العلم بين الناس .

والثالث: السعي في العمل الحلقي؛ تحفيظًا لكتاب الله، وتلاوة، ومدارسة، وتربية .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- ستر المسلم العاصي يكون بحسب المصلحة ودفع المفسدة .

٢- حث المسلم على أن يتفقد حوائج من حوله من المسلمين؛ فيكون حي القلب تجاه إخوانه، يسمع أخبارهم، ويتفقد حوائجهم .

٣- فضل الجليس الصالح، وشرف مجالس العلم والذكر، والسفر إليها، وفضل المجالس التي يتدبر فيها القرآن الكريم، وبيان منهج تعليم القرآن بتلاوته، وتدارسه .

٣- أن النسبة الحقيقية المنجية والرافعة للعبد هي نسبة الإيمان والعمل الصالح، لا نسبة الحسب، ولا نسبة الانتساب الكاذب.

الحديث السابع والثلاثون:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: "إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئةً واحدةً". (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف)

الشرح الإجمالي للحديث :

في هذا الحديث بيان تفضل الله على عباده:

١- فمن هم بالحسنة وعملها: كتبت له عشر حسنات، ثم يكون التضعيف بقدر إخلاصه ومتابعته وآثار حسنته .

٢- وإن هم بها فتركها لعذر كتبت كأنه عملها؛ لقوله تعالى: (ومن يخرج من بيته مهاجرًا ...)، وقوله: " إذا مرض العبد أو سافر ...". .

٣- وإن هم بها فتركها لغير عذر، كتبت حسنة كاملة .

٤- وإن هم بالسيئة فلم يعملها خوفًا من الله كتبت حسنة كاملة .

٥- وإن هم بها فتركها عجزًا عنها كتبت عليه سيئة الهم؛ لحديث: إذا التقى المسلمان بسيفهما .. .

٦- وإن هم بها فعملها لم تكتب سيئة ست ساعات حتى يستغفر؛ فإن تاب لم تكتب، وإن لم يتب كتبت، فإن تاب بعدها غفرت، أو حولت حسنة .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن مضاعفة الحسنات من جهة ما يكتب له ابتداء، ومن جهة ما يضاعف له بعد ذلك، ومن جهة التحويل، ومن جهة الكيفية حيث تحسب له على أفضل صفة حسنة عملها؛ لقوله تعالى: (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

٢- أن السيئات لا تتضاعف؛ لقوله تعالى: (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها)، لكن قد تضاعف من جهة الكيفية؛ لقول تعالى: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) .

٣- يربي هذا الحديث في المسلم الرجاء والحياء من الله .

٤- ينبغي للمسلم أن يكون همامًا بالخير دائمًا مفكرًا فيه، حارثًا عمره بعمله الصالح ما استطاع .

الحديث الثامن والثلاثون:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته في الحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه". (رواه البخاري)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذا الحديث يسمى حديث الولي؛ وفيه بين النبي أسباب ولاية الله، وآثارها: فأما أسباب ولاية الله فتتحقق في التقرب إلى الله بتحقيق أداء الفرائض، وبالإكثار من أداء النوافل، وهي كذلك تحصل بالإيمان والتقوى؛ لقوله تعالى: (آلا إن أولياء الله ...) .

وأما آثارها، فتظهر في ثلاثة أمور ذكرت في الحديث: تسديد الله تعالى للعبد في سائر جوارحه، وإجابة دعائه واستغاثته، ومحاربة الله تعالى لمن عداه .

الفوائد التربوية من الحديث :

١. أن معاداة أولياء الله من كبائر الذنوب، فيحذر المسلم من أذية مسلمًا؛ فيبوأ بالحرب من الله .

٢. أن الاهتمام بالفرائض يجب أن يكون أشد من الاهتمام بالنوافل، ثم الاستمرار في النوافل (لا يزال) يكسب العبد فائدتان: القرب من الله (يتقرب إلي)، ومحبة الله (أحبه) .

٣. أن العبد كلما كان أسرع طاعة لله وأكثر تعبدًا لكما كان دعاؤه أسرع إجابة، وتعوذه أقرب للقبول .

الحديث التاسع والثلاثون:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه". (حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما)

الشرح الإجمالي للحديث :

من رحمة الله ألا يؤاخذ عبده إلا ما فعله قاصدًا، عالمًا، مختارًا، فتجاوز عما فعله العباد عن الخطأ وهو فعل الأمر عن غير قصد، والنسيان: وهو الفعل أو الترك عن ذكر، والإكراه وهو الفعل أو الترك عن غير اختيار .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- استحضار رحمة الله تعالى حيث لم يكلف العبد بما لا يستطيع دفعه عنه، (لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها) .

٢- الحديث قاعدة عظيمة في العفو عما فعله العبد خطأ أونسيانًا أو إكراهًا؛ هو متعلق برفع الإثم، مع بقاء الضمان في حقوق العباد، والطلب في حقوق الله .

٣- يعفى الإنسان عن إثم ما فعله جاهلاً، ولا يعفى عن ترك العلم فيما يتعين عليه، ويعفى عما فعله ناسيًا إلا أن يكون قد تعاطى أسباب هذا النسيان؛ كإهماله والتفريط في تقييده وتسويفه حتى ينساه .

الحديث الأربعون:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك". (رواه البخاري)

الشرح الإجمالي للحديث :

هذه وصية النبي ﷺ لابن عمر رضي الله عنه، وقد أوصاه بعد أن أخذ بمنكبيه أن يكون في الدنيا غريب أو عابر سبيل، والغريب:

١- لا يتخذ الدنيا وطنًا، ولا يركن إليها، ولا يحدث نفسه بالبقاء فيها

٢- قليل الانبساط للناس، مستوحش منهم، لا يأنس بمخالطتهم .

٣- ذليل خائف، لا يدري ما يصير إليه أمره، بعيد عن خلق الكبر والتعالي .

٤- لا يجزع أن يراه أهل البلد على خلاف معهودهم من التزين والتجمل والمراكب .

٥- استعداده للرحيل في أي لحظة؛ لأنه لم يتخذ هذه الدار دار إقامة .

٦- لا يأسف أن يفوته شيء في تلك البلد مما يعجز عن نقله معه .

٧- لا يطمئن ويرتاح حتى تنتهي غربته، ويعوده لدار إقامته .

ثم لا يكتفي بذلك النبي ﷺ حتى يجعله كعابر السبيل، وعابر السبيل:

١- خفيف الحمل، لا يحمل إلا زاده وقوته، وحاجته الضرورية، معه البلغة فقط .

٢- وهو سريع السير إلى مقصده، لا يتوقف عنه إلا استراحة مسافر تحت ظل شجرة .

الفوائد التربوية من الحديث :

١. في الحديث الحث على قصر الأمل، والاستعداد للتوبة، والموت، وتقديم الزاد، قال تعالى: (ولتنظر نفس ما قدمت لغد)، وقال تعالى: (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) .

٢. تأثر ابن عمر رضي الله عنه لوصايا الرسول ﷺ، وعمله بها، ووصيته البليغة: بعدم الاغترار بكر الصباح والمساء، وبالاستعداد بعمل الإمكان حال الحياة والصحة .

الحديث الحادي والأربعون:

عن أبي محمد عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". (حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح)

الشرح الإجمالي للحديث :

قعد النبي ﷺ في هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وعلامة من علامات الإيمان: ألا يقدم المؤمن هوى لنفسه أو لغيره على شرع الله ورسوله ﷺ. وفي الحديث دليل عظيم على أهمية طلب العلم الشرعي، والعمل به .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- أن الإيمان الواجب قد ينفى عمن قصر في ترك واجبه .

٢- تربية المؤمن على طلب الدليل، ووجوب الانقياد لشرع الله تعالى، وإنما تثبت قدم الإسلام على عتبة التسليم والاستسلام .

٣- خطورة اتباع الهوى، والأمر بمجاهدة العبد هواه؛ ليستقيم له الأمر على شرع ربه عز وجل، وهدي رسوله ﷺ.

الحديث الثاني والأربعون:

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما

كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة". (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)

الشرح الإجمالي للحديث :

في هذا الحديث القدسي ذكر ثلاثة أسباب لمغفرة الذنوب:

الأول: دعاء الله تعالى ورجائه، وفي الجديث: "ومن سره أن يستجيب له الله عند الشدائد والكرب؛ فليكثر الدعاء في الرخاء".

والثاني: كثرة الاستغفار، وقد كان النبي ﷺ يستغفر الله في المجلس الواحد مائة مرة .

والثالث: تحقيق التوحيد، قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن شاء) .

الفوائد التربوية من الحديث :

١- دل هذا الحديث أنه لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله تعالى، (ثم لقيتني) .

٢- سعة رحمة الله تعالى، وأنه قريب مجيب لدعاء واستغفار عباده، وأنه لا يمنع العبد من الدعاء والتوبة كثرة ذنوبه ومعاصيه .

أول

الإيمـــــان

بقلم فضيلة الشيخ

د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

بسم الله الرحمن الرحيم

أول الإيمان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا سيد المرسلين، وبعد: فللإيمان حقائق ومؤشرات تقيس لك حجم إيمانك ووزنه، فمن الناس من يبلغ إيمانه كالنخلة، ومنهم من هو دون ذلك، ومن من يبلغ الجيل، ومنهم من هو فوق ذلك، وسلمان الفارسي ﷺ لو كان الإيمان عند الثريا لبلغه، ومن الناس من حجم إيمانه كإبهام قدمه، ومنهم من يضيء إيمانه تارة، ويخفت تارة، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما ملئ إيمانًا إلى مُشاشه؛ أي رؤوس عظامه، ومن الناس من وزن إيمانه كوزن الدينار، أو نصف دينار، أو مثقال برة، أو مثقال شعيرة، أو مثقال ذرة، ومنهم من يزن إيمانه السموات والأرض.

فما قدر وزن إيمان قلبك ؟ وما قدر وزن إيمان لسانك وجوارحك ؟، وتذكر أن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكن شيء وقر في القلب، وصدقه العمل، فما الذي وقر في قلبك، وصدقه عملك ؟.

فضل الإيمان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سئلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ فقال: "إيمانٌ بالله ورسولِه"، قيل: ثم ماذا؟ قال:

"الجهادُ في سبيلِ الله"، قيل: ثم ماذا؟ قال: "حجٌّ مبرورٌ"، أخرجه البخاري ومسلم.

وإيمان العباد متفاوت، فليس الناس في الإيمان سواء، يقول عبد الله ابن مسعود ﷺ: "إنَّ الله قسَمَ بينكم أخلاقَكُمْ، كما قسَم بينكم أرْزاقَكم، وإنَّ الله يُؤْتي المالَ من يُحبُّ

ومَنْ لا يحِبُّ، ولا يُؤتِي الإيمانَ إلا مَنْ أحبَّ، فإذا أحبَّ الله عبداً أعطاهُ الإيمانَ"، أخرجه الطبراني.

ولا بد للإيمان من عمل: فعند الطبراني في الكبير عن أبي كثير السحيمي عن أبيه قال: سألت أبا ذر ﷺ قلت: دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة، قال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ قال: "يؤمن بالله واليوم الآخر"، قلت: يا رسول الله، إن مع الإيمان عملاً؟ قال: "يرضخ مما رزقه الله"، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ به؟ قال: "يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر"، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان عييًا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ قال: "يصنع لأخرق"، قال: أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟ قال: "يعين مغلوبًا"، قال: أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مغلوبًا؟ قال: "ما تريد أن يكون في صاحبك من خير؟ يمسك عن أذى الناس"، فقلت: يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: "ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء؛ إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة".

أصل الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ أصل إيمان القلب: في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ سئل: ما الإيمان؟ فقال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله"، فصدِّق بوجود الله، وانفراده بالربوبية والكمال والألوهية، ووجود جنوده من الملائكة، وصدق رسله إلى خلقه، ورضى بأحكامه القدرية في قضائه وقدره، وأحكامه الشرعية في كتبه، وأحكامه الجزائية في اليوم الآخر.

(ب) وكيف تبلغ أصل إيمان اللسان والجوارح: في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "هل تدرون ما الإيمان بالله؟"، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسًا من المغنم"، فحقق أركانها وشروطها، وأخلص لله فيها، فعن أبي فراس الأسلمي رضي الله عنه قال: نادى رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: "الإخلاص"، أخرجه البيهقي.

دليل الإيمان:

(أ) فكيف تحقق دليل إيمان القلب: في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"، فحقق حبهم، وأبغض من أبغضهم.

(ب) وكيف تبلغ دليل إيمان اللسان والجوارح: في مسند أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: "إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك فأنت مؤمن"، فافرح بطاعتك، وابكِ على خطيئتك.

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

أضعف الإيمان:

(أ) فكيف تعرف أنك في درجة أضعف إيمان القلب: في صحيح مسلم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرًا

فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"، وفي لفظ: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل"، فليكن في قلبك كراهية ما يبغضه الله تعالى.

(ب) وكيف تعرف أنك في درجة أضعف إيمان اللسان والجوارح: في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"، فمتى لم تحرص على ما ينفعك، وضعفت استعانتك بالله، وكثر في نفسك التحسر والوساوس فقد ضعف إيمانك.

نصف الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ درجة نصف إيمان القلب: عند الطبراني في المعجم الكبير قال عبد الله بن مسعود ﷺ: الصبْرُ نصْفُ الإيمانِ، واليَقينُ الإيمانُ كُلُّه، وعن علي ﷺ قال: الإيمان نصف صبر، ونصف شكر، فاحرص على أن تحمل نفسك في البلاء على الصبر، وفي السراء على الشكر.

(ب) وكيف تبلغ درجة نصف إيمان اللسان والجوارح: في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الطَّهور شَطْرُ الإيمان"، وعند ابن ماجه: "إسباغُ الوضوء شطرُ الإيمان"، فاجتهد في المحافظة على الوضوء وسننه، ولو في المكاره.

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

طعم الايمان:

(أ) فكيف تبلغ درجة أن تجد طعمًا لإيمان القلب: في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً"، فربِّ قلبك على أن يرتقي من الصبر إلى الرضا.

(ب) وكيف تبلغ درجة أن تطعم طعمًا لإيمان اللسان والجوارح: عند أبي داود عن عبد الله بن معاوية الغاضري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "ثلاث من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام ... وزكى نفسه"، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: "أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان"، فاحرص على أن تطيب نفسك في عبادة الله، والإنفاق في سبل مرضاته.

حلاوة الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ درجة أن تجد حلاوة لإيمان قلبك: في الصحيحين عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار"، وعند مسلم: "من أن

يرجع يهوديًا أو نصرانيًا"، فاجتهد أن تصدق الله إذا اختبرت اختبارات الإيمان: من تقدم؟، ولماذا تقدم؟، ومن تؤخر؟.

(ب) فكيف تبلغ المرأة درجة أن تجد حلاوة لإيمان لسانها وجوارحها: عند الحاكم من حديث معاذ ﷺ، أن النبي ﷺ قال: ""لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ من عظم حقه عليها، ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على ظهر قَتَبٍ"؛ أي ولو كانت على ظهر بعير حال ولادتها.

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

حقيقة الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ حقيقة إيمان القلب: في مسند أحمد عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"، فاصدق الله عز وجل عند اختبارات القدر، والرضا بالمصائب.

(ب) وكيف تبلغ حقيقة إيمان اللسان: عند أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"، فاعتنِ على حفظ لسانك من أن ينطق بكلمة محرمة.

(ج) وكيف تبلغ حقيقة إيمان الجوارح: في صحيح ابن حبان عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير"، فتعامل مع الناس بما تحب أن يعاملوك.

حتى تبلغ حقيقة الإيمان اعتقادًا وعملاً، قال الله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال: ٢ - ٤].

كمال الإيمان:

(أ) فكيف تبلغ كمال إيمان القلب: في سنن أبي داود عن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"، بل عند أحمد: "إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله"، فاجعل كل رغباتك ومكروهاتك، وكل بذلك ومنعك لأجل الله عز وجل.

(ب) وكيف تبلغ كمال إيمان اللسان: عند أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لا يؤمن العبدُ الإيمانَ كلَه حتى يترك الكذبَ في المزاحة والمراء، وإن كان صادقًا"، وعند أبي يعلى من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا: "لا يبلغ العبدُ صريحَ الإيمان حتى يدعَ المزاحَ والكذب، ويدع المراءَ وإن كان مُحقّاً"، فاجتهد في الترفع عن المزاح والمراء.

(ج) وكيف تبلغ كمال إيمان الجوارح: عند الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم"، فاجتهد أن تعامل الناس بأحسن ما تستطيعه من خلق.

حتى تبلغ صدق الإيمان، اعتقادًا وعملاً، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الحجرات: ١٥ - ١٧].

فعجل بالإيمان، قبل أن يحل بك قول الله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

نفي الإيمان:

(أ) وليحذر العبد من أن ينتفي الإيمان عن قلبه: فعند الحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "الحياء والإيمان قُرَناءُ جميعاً، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخر"، فاحذر أن يرتفع الحياء من قلبك.

(ب) وليحذر من أن ينتفي الإيمان عن لسانه: فعند الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: "يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛

فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم؛ تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته؛ يفضحه، ولو في جوف رحله"، فلا تغتاب مسلمًا، أو تتبع عوراته.

(ج) وليحذر من أن ينتفي الإيمان عن جوارحه: فعند أبي داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إذا زنا الرجلُ خرج منه الإيمانُ، فكان عليه كالظُّلَّةِ، فإذا أقْلَعَ رجع إليه الإيمانُ"، فتجنب الزنا ودواعيه.

كتاب الزكاة

من شرح مهذبة الزبد

بقلم فضيلة الشيخ

د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

كتاب الزّكاة

الزكاة في الشرع: اسمٌ لما يخرج طهرةً عن مالٍ أو بدن، ومواساةً للمحتاجين .

- وقد دلّ على وجوب الزكاة الكتاب؛ كقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا }، والسنة؛ كحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم؛ فترد على فقرائهم"، وإجماع الأمة .

١- وإنما الفرضُ على من أسلَمَا حرٍّ مُعيَّنٍ، ومِلْكٌ تُمِّمَا
٢- في إبلٍ وبقرٍ وأغنامْ بشرطِ حَولٍ ونصابٍ واستِيَامْ
٣- وذهبٍ وفضَّةٍ غيرَ حُلِي جازَ ولو أُجِّرَ للمُستعمِلِ

الدرس الأول :

بدأ الناظم رحمه الله بذكر شروط وجوب الزكاة، وشروط وجوبها سبعة :

١- الإسلام؛ فلا تجب على الكافر؛ لأنها عبادة، ولا تقبل العبادة منه .
٢- الحرية؛ فلا تجب على العبد؛ لأنه لا يملك .
٣- التعيين؛ بأن يكون المالك معينًا؛ واحدًا أو جماعة محصورين، فلا زكاة في المال الموقوف على الفقراء أو على المسجد؛ لعدم المالك المعين .
٤- تمام الملك؛ بأن يكون ملكه على المال مستقرًا، فلا زكاة عليه إن وُعِد أن يعطى مالاً (جائزة) إن فعل كذا؛ لعدم ملكه له .

٥- أن يكون من الأموال الزكوية، وهي:

أ- الأنعام السائمة في الكلأ المباح (غير المعلوفة)؛ من الإبل، أو البقر، أو الغنم؛ من الضأن أو المعز .

ب- الأثمان؛ الذهب والفضة، عدا الحلي منهما المعدّ للاستعمال المباح؛ من لبس، أو إجارة، أو إعارة، والقول الثاني في المذهب: أن الزكاة تجب في الحلي مطلقًا؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند الخمسة إلا ابن ماجه أن امرأة أتت رسول الله ﷺ، ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان (أي سواران) غليظتان من ذهب، فقال لها: "أتعطين زكاة هذا؟"، قالت: لا، قال: "أَيَسُرُّكِ أن يُسَوِّرَكِ الله بهما يوم القيامة سِوارين من نار؟"، قال: فخلعتهما، فألقتهما إلى النبي ﷺ، وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله، وهو قول ابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم كما عند البيهقي بسند حسن، وهو الأقرب، والله أعلم .

بقية الأموال الزكوية

٤- وعَرْضِ مَتجَرٍ وربحٍ حَصَلا بشرطِ حَولٍ ونِصابٍ كَمَلَا
٥- وجنسِ قُوتٍ باختيارِ طَبْعِ منْ عِنَبٍ ورُطَبٍ وزَرْعِ
٦- وشَرطُهُ: النصابُ إذ يشْتدُّ حَبٌّ، وزَهْوٌ في الثِّمارِ يبُدُو

الدرس الثاني :

ثم أكمل الناظم رحمه الله الأموال التي تجب فيها الزكاة، وبقية شروط وجوبها :

ج- عروض (بضائع) التجارة، وربحها، وهي كل مال يُعرض للبيع والشراء بقصد الربح .

د- كل ما يقتاته الآدمي، ويقوم به بدنه في حال الاختيار من الزروع والثمار؛ كالعنب والرطب وسائر الحبوب التي تدخر؛ لتكون قوتًا .

٦- بلوغ هذه الأموال أنصبتها الشرعية، بعد توفر الحوائج الأصلية؛ من طعامٍ وملبسٍ، ومسكنٍ، ومتاعٍ يليق به:

أ- فنصاب الإبل: خمس، وفيها شاة،[1] وفي ١٠: شاتان، وفي ١٥: ثلاث شياه، وفي ٢٠: أربع شياه، وفي ٢٥: بنت للمخاض (أكملت سنة)، وفي ٣٦: بنت لبون (أكملت سنتين)، وفي ٤٦: حِقَّة (أكملت ثلاث سنين)، وفي ٦١: جَذْعَة (أكملت أربع سنين)، وفي ٧٦: ابنتا لبون،

(١) والشاة إذا أطلقت فالمراد: جذعة من الضأن (أكملت سنة)، أو ثنية من المعز (أكملت سنتين) .

وفي ٩١: حقتان، وفي ١٢١: ثلاث بنات لبون، ثم نحسب في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة .

ب- ونصاب البقر: ثلاثون، وفيها تَبِيع (أكمل سنة)، ثم نحسب في كل ثلاثين تبيع، وفي كل أربعين مُسِنَّة (أكملت سنتين) .

ج- ونصاب الغنم: أربعون، وفيها شاة، وفي ١٢١: شاتان، وفي ٢٠١: ثلاث شياه، وفي ٤٠٠: أربع شياه، ثم إذا زادت في كل مائة شاة .

د- ونصاب الذهب: عشرون مثقالاً (دينارًا) خالصًا، ويساوي ٨٥ جرامًا، ونصاب الفضة مائتا درهم خالصة، وتساوي ٥٩٥ جرامًا، وفيهما ربع العشر؛ أي يقسم المال إذا بلغ النصاب على أربعين، فما نتج فهو زكاته .

هـ- ونصاب الزروع والثمار خمسة أوسق، وتساوي ٧٢٠ كجم من البر الجيد، وغيره يكال بإنائه، وفيهما العشر إن سقي بدون مؤنة وكلفة، ونصف العشر إن سقي بمؤنة .

٧- جريان الحول؛ بأن تمضي سنة هجرية على ملكه للنصاب، عدا الزروع والثمار فتجب زكاتها عند اشتداد الحب، وبدو الصلاح في الثمر؛ بأن صَلُح للأكل .

باب زكاة الفطر

زكاة الفطر هي زكاة البدن، فيشكر العبد ربه إذ أبقاه عامًا كاملاً، وأبقى من يعول .

وقد دلّ على وجوبها ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمرٍ، أو صاعًا من شعيرٍ على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين .

٧- إن غربتْ شمسُ تمامِ الشهرِ يجبْ إلى غروبِ يومِ الفطرِ

٨- أداءُ مثلِ صاعِ خيرِ الرسلِ خمْسَةُ أرْطالٍ وثُلْثُ رِطْلِ

٩- رِطْلُ العراقِ وهوَ بالأحْفانِ قريبُ أرْبعِ يديْ إنسانِ

١٠- وجنْسُهُ القُوتُ من المعَشَّرِ غالبِ قُوتِ بلدِ المطَهَّرِ

١١- والمسلمُ الحرُّ عليهِ فِطرتُهْ وفِطرةُ الذي عليهِ مُؤْنَتُهْ

الدرس الثالث:

بيّن الناظم رحمه الله في هذا الباب أحكام زكاة الفطر، وذكر أربع مسائل:

المسألة الأولى: أن زكاة الفطر واجبة على المسلم الحر، فيجب عليه إخراج فطرته، وفطرة من ينفق عليهم؛ من زوجة وقريب ورقيق مسلمين، إذا ملك ما يزيد عن ديونه وعن قوته وقوتهم ليوم العيد وليلته .

المسألة الثانية: أن وقت وجوبها هو غروب الشمس من آخر يوم من رمضان، فمن أدرك هذا الوقت وجبت عليه زكاة الفطر، وإن لم يصم، وينتهي وقت أدائها بغروب شمس يوم عيد الفطر، والأقرب انقضاء وقتها بصلاة العيد؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات، أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند حسن .

المسألة الثالثة: أن القدر الواجب هو إخراج صاع بصاع النبي ﷺ، ويساوي خمسة أرطال عراقية وثلث، ويقدر بـ ٢٤٠٠ جرام من البر الجيد، وغيره يكال على إنائه، وهو يقرب من أربعة أمداد، والمدّ قدر ما يملأ كفي الرجل المعتدل .

المسألة الرابعة: أن الجنس الواجب إخراجه في زكاة الفطر هو القوت الذي تجب فيه الزكاة، بشرط أن يكون من غالب القوت المعتاد في بلد المؤدى عنه الزكاة .

باب قسم الصدقات

١٢- أصنافُهُ - إن وجدتْ - ثمانيهْ من يُفقَدِ ارْدُدْ سهمَهُ للباقيهْ

١٣- فقيرٌ العادِمُ والمسكينُ لهْ ما يقعُ الموقِعَ دون تكمِلَهْ

١٤- وعاملٌ كحاشرِ الأنعامِ مؤَلَّفٌ يَضعُفُ في الإسلامِ

١٥- رِقابُهُم، مُكاتَبٌ، والغَارِمُ مَنْ للمُباحِ ادَّانَ وهوَ عَادِمُ

١٦- وفي سبيلِ اللهِ غازٍ احتَسَبْ وابنُ السبيلِ ذو افتقارٍ اغترَبْ

الدرس الرابع :

ثم انتقل رحمه الله ليبين الأصناف التي تستحق أخذ الزكاة، وهي ثمانية، ذكرها الله تعالى في سورة التوبة، قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}:

١- الفقير، وهو العادم للمال والكسب الحلال اللائق به، أو من له مال وكسب لا يقع موقعًا من حاجته؛ كمن يحتاج لعشرة دراهم، ولا يجد إلا درهمين، ويعطى قدر كفايته .

٢- المسكين، وهو من له مال أو كسب يقع الموقع من حاجته، لكنه لا يكمل حاجته؛ من مطعمٍ وملبسٍ ومسكنٍ وجميع ما لا بدّ منه، له ولمن يمونه، مما يليق بمثله دون سرف؛ كمن احتاج لعشرة دراهم، ووجد ثمانية، ويعطى قدر كفايته أيضًا.

٣- العامل على الزكاة، وهو الذي يستعمله الإمام لجمع الزكوات، وتفريقها على مستحقيها؛ كجامعها، وحاسبها، وحافظها، فيعطى من الزكاة قدر أجرة عمله .

٤- المؤلَّف في الإسلام؛ الذي يُطمع بإعطائه من الزكاة أن يقوى إسلامه، أو أن يسلم نظيره، أو أن يجاهد العدو، ويعطى بقدر ما يحصل به تأليفه .

٥- العبيد الذين يراد عتقهم، والمكاتبون العاجزون عن سداد دين كتابتهم؛ ليعتقوا، فيعطون بقدر ما يحصل به عتقهم .

٦- الغارم (المديون) إذا استدان لدينٍ مباح، وعجز عن الوفاء به، فإن كان قد استدان لإصلاح ذات البين، فيعطى من الزكاة، ولو كان غنيًا، ويعطى الغارم من الزكاة بقدر دينه .

٧- الغازي في سبيل الله المحتسب، الذي تطوّع بجهاده، فلم يأخذ عليه راتبًا، فيعطى على قدر كفايته، ولو كان غنيًا .

٨- ابن السبيل الذي اغترب عن وطنه، ولم يجد مالاً يبلغه مقصده، فيعطى بقدر ما يبلغه ذلك .

كتاب الصيام

من شرح مهذبة الزبد

بقلم فضيلة الشيخ

د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

كتاب الصّيام

الصيام هو التعبد لله بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

- وقد دلّ على وجوب صوم رمضان: الكتاب؛ كقوله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ }، والسنة؛ كحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "بُني الإسلام على خمس، وذكر صوم رمضان"، وإجماع الأمة.

١٧- يجبُ صومُ رمضانَ بأحدْ أمرينِ: باستكمالِ شعبانَ العَدَدْ

١٨- أو رؤيةِ العدْلِ هلالَ الشهرِ في حقِّ من دُونَ مَسِيرِ القَصْرِ

١٩- هذا الذي أشارْ إليهِ الرَّافِعِي والنَّوَوِيُّ اختارَ بالمطالِعِ

٢٠- وإنما الفرضُ على شخصٍ قَدَرْ عليهِ مُسلمٍ مُكَلَّفٍ طَهَرْ

الدرس الخامس :

بيّن الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن شروط وجوب صيام رمضان خمسة:

١- الإسلام .

٢- التكليف؛ بأن يكون عاقلاً بالغًا، وضابط البلوغ: حصول أحد ثلاثة أشياء: الاحتلام بخروج المني، أو رؤية دم الحيض بالنسبة للأنثى، أو استكمال خمس عشرة سنة قمرية .

٣- القدرة على الصوم، فلا يجب الصيام على المريض الذي لا يرجى برؤه، ولا على الكبير العاجز عنه، وعليهما أن يُطعِما عن كل يوم مسكينًا مدًا، ويساوي ٦٠٠ جرام .

- وكذا لا يجب الصوم للمشقة: على المريض الذي يرجى برؤه، والمسافر، والحامل، والمرضع، وعليهم القضاء .

٤- الطهارة من الحيض والنفاس، فلا يصح الصوم من الحائض والنفساء، ويلزمهما قضاؤه .

٥- ثبوت دخول شهر رمضان، ويثبت ذلك بأحد أمرين :

أ- استكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا .

ب- رؤية العدل لهلال شهر رمضان؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين"، متفق عليه، واللفظ للبخاري .

- فإن رأى أهلُ بلدٍ الهلالَ لزمهم الصيام، ولزم :

١- أهل كل بلد دون مسافة السفر (القصر) منهم، وهو اختيار الرافعي .

٢- أهل كل بلد يوافق مطلع الهلال عندهم مطلع بلد الرؤية، وهو اختيار النووي .

شروط صحة الصّيام

٢١- وشرطُ نفْلٍ : نِيَّةٌ للصومِ قبلَ زوالِها لكلِّ يومِ
٢٢- وإن يكنْ فرضًا شرطْنَا نيِّتَهُ قد عُيِّنَتْ من ليلهِ مُبيَّتَه
٢٣- وبانتفاءِ مُفطِرِ الصَّيَامِ: حَيْضٍ نِفْاسٍ ردَّةِ الإسلامِ
٢٤- جنونِ كلَّ اليوم ، لكن من ينامْ جميعَ يومِهِ فصَحِّحِ الصيامْ

الدرس السادس :

ثم ذكر الناظم رحمه الله شروط الصيام – التي لا يصح الصيام إلا بها –، وهي شرطان:

١- نية الصوم :

أ- فإن كان صيام فرض: نوى الصيام، والفرضية، وعيّن اليوم، ولا بدّ أن ينوي الصيام ويُبيّته من ليلة كل يوم .

ب- وإن كان صيام نفل: نوى الصيام، قبل زوال شمس كل يوم أراد صيامه، بشرط ألا يسبق النية منافٍ للصوم من أكل أو جماع .

٢- الإمساك عن المفطرات، والمفطرات سبعة :

أ- الحيض والنفاس .

ب- الردة، وهي قطع استمرار الإسلام، والعياذ بالله .

ج- الجنون، ولو لحظة.

- فلا بدّ أن تنتفي هذه المفطرات عن كل اليوم .
- أما إذا نام نومًا مستغرقًا لجميع اليوم فصيامه صحيح؛ لبقاء أهلية النائم للخطاب، ولأنه ينتبه إذا نُبّه .

بقية شروط صحة الصّيام

٢٥- وكلِّ عَيْنٍ وصلتْ مُسَمَّى جوفٍ بمنفَذٍ وذِكْرٍ صوما
٢٦- والعَمْدِ للوَطْءِ وباستِقْياءِ أوْ أخرَجَ المنيَّ باستِمناءِ
٢٧- ولا يصحُّ صومُ يومِ العيدِ ويومِ تشْرِيقٍ ولا ترديدِ
٢٨- لا إنْ يُوافِقْ عادةً أوْ نذرَا أوْ وَصَلَ الصَّومَ بصومٍ مَرَّا

الدرس السابع :

ثم أكمل الناظم بقية المفطرات :

د- كل عين وصلت للجوف من منفذٍ مفتوح؛ كالفم والأنف، مع قصد الفعل، وذكر الصوم، والعلم بالتحريم، فلا يفطر بذلك المكره، والناسي، والجاهل للتحريم.

هـ- تعمد الوطء؛ بأن تغيب الحشفة في فرجٍ، ولو بحائل، ولو بغير إنزال، مع كونه ذاكرًا، مختارًا، عالماً بالتحريم .

- فمن وطء وهو صائم فقد فسد صومه، وعليه أن يقضي صوم اليوم الذي أفسده، وأن يكفر كفارة مغلظة؛ وهي عتق رقبة مؤمنة؛ فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا، لكل مسكين مد .

و- تكلف القيء وطلبه، فإن غلبه فلا شيء عليه .

ز- إخراج المني بالاستمناء عامدًا عالماً، ولا يفطر الصائم إن خرج المني باحتلامه أثناء نومه .

ثم انتقل الناظم لبيان الأيام التي لا يصح صيامها، وهي ثلاثة :

١- صيام يوم العيد؛ سواء الفطر أو الأضحى .

٢- صيام أيام التشريق، وهي الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من شهر ذي الحجة .

٣- صيام يوم الشك (الترديد)، وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا تحدث الناس برؤية الهلال، ولم يثبت عند قاضٍ، وتستثنى من النهي عن صوم يوم الشك ثلاث حالات :

أ- أن يصومه لموافقته عادةً له في الصيام؛ كأن يوافق يوم الشك يوم الاثنين، وقد اعتاد صيامه .

ب- أو صامه عن نذرٍ، أو عن قضاءٍ، أو عن كفارة .

ج- أو واصل الصيام من قبل نصف شعبان إلى يوم الشك .

ومن الأيام التي يستحب صيامها :

١- صوم يوم عرفة لغير حاج، وهو التاسع من ذي الحجة .

٢- وصوم يوم تاسوعاء وعاشوراء، وهما التاسع والعاشر من محرم .

٣- وصوم الأيام البيض، وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر، عدا الثالث عشر من شهر ذي الحجة؛ لأنه من أيام التشريق التي يحرم صيامها .

٤- وصوم يومي الاثنين والخميس .

٥- وصوم ستة أيام من شوال .

باب الاعتكاف

الاعتكاف: هو التعبد لله باللبث في المسجد بنية مخصوصة .

٢٩- سُنَّ ، وإنما يصحُّ إنْ نوى بالمسجدِ المسلمُ بعدَ أنْ ثَوَى

٣٠- لو لحظةً ، وسُنَّ يومًا يَكْمُلُ وجامِعٍ وبالصَّيامِ أفضلُ

الدرس الثامن :

بيّن الناظم رحمه الله تعالى بعضًا من مسائل فقه الاعتكاف :

المسألة الأولى: أن الاعتكاف سنة مستحبة في جميع الأوقات، وفي العشر الأواخر من رمضان آكد؛ لمداومة النبي ﷺ عليه؛ ولا يجب إلا بالنذر .

المسألة الثانية: أنه يشترط لصحة الاعتكاف أن ينوي المسلم اللبث بالمسجد، فله ركنان: النية، واللبث بالمسجد .

المسألة الثالثة: أن أقل الاعتكاف لحظة، ويُسن يومٌ وليلة، والأقرب أن أقله ليلة؛ لأنها أقل ما ورد؛ وهو وجهٌ في المذهب .

المسألة الرابعة: أن من سنن الاعتكاف أن يلحقه صوم، وأن يكون في مسجد جامع، والقول القديم في المذهب اشتراط المسجد الجامع؛ لحديث عائشة رضي الله عنها عند أبي داود، وفيه: "ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع"، وهو الأقرب .

= ويبطل الاعتكاف: بالجماع، وهو عالم بالتحريم، ذاكر للاعتكاف، مختار غير مكره .

= وينقطع: بالخروج لغير حاجة، وهو ذاكر غير ناسٍ؛ فلا يبطل إن خرج لقضاء الحاجة، أو الأكل، أو الشرب إن لم يجده في المسجد .

بسم الله الرحمن الرحيم

المتون الفقهية الميسَّرة :

صفة وضوء النبي ﷺ

كتبها :

د. طالب بن عُمر الكثيري

غفر الله له

www.talebkh.com

متن صفة الوضوء

يجب الوضوء على العبد إذا أراد الصلاة، وكان محدثًا، وهو شرطٌ من شروط صحة الصلاة، لا تصح الصلاة إلا به، ويستحب للعبد أن يتوضأ لكل صلاة فريضة، وإن لم يحدث .

ومن فضائل الوضوء: أنه كفارة للذنوب، والمحافظة عليه من علامات الإيمان، بل هو نصف الإيمان، ومن حافظ على الوضوء الواجب، وأكثر من الوضوء المسنون عظم نوره يوم القيامة، ومن أتمّه على الصفة الشرعية الواردة في الكتاب والسنة: كان كفارة لسيئاته، ورفعة لدرجاته، ومغفرةً لذنوبه الماضية، وذنوبه الآتية لمدة عشرة أيام، وتجب له الجنة، وتفتح له أبوابها الثمانية .

وصفته: أن ينوي بقلبه الوضوء، دون أن يتلفظ به، والنية واجبة، ثم يدلك فمه بالسواك، وهو سنة، ثم يقول: بسم اللّٰه، ثم يغسل كفيه ثلاثًا، وهو سنة، ويجب غسلهما ثلاثًا إذا استيقظ من النوم، ثم يتمضمض ، فيضع الماء في فمه، ويحركه، ثم يستنشق، فيضعه في أنفه، ويجذبه بالنفس، يفعل ذلك من غرفة واحدة، ثلاث مرات، ويتمضمض ويستنشق بيده اليمنى، ثم يستنثر بيده اليسرى، والاستنشاق واجب، وخاصة بعد النوم، ويبالغ غير الصائم فيه، ثم يغسل وجهه؛ من منابت شعر الرأس إلى الذقن واللحية طولاً، وما بين الأذنين عرضًا، وهو واجب، ويغسله ثلاث مرات، ويخلل باطن لحيته الكثيفة، وهو سنة، وصفة ذلك: أن يُدخل ماءً تحت حنكه، فيخلل به لحيته، ثم يغسل يديه، مع مرفقيه، وهو واجب، ويغسلهما ثلاث مرات؛

يبدأ باليمين، ويخلل بين أصابع يديه، ثم يمسح رأسه بالماء، وهو واجب، وصفة ذلك: أن يمسح جميع رأسه بيديه، مرةً واحدة، يبدأ بمقدم رأسه، ثم يذهب بيديه إلى قفاه، ثم يرجعهما إلى مقدم رأسه، ويأخذ لمسح رأسه ماءً جديدًا إن شاء، ويمسح أذنيه مع رأسه، وصفة ذلك: أن يدخل السبابتين في أذنيه، ويمسح بإبهاميه ظاهر أذنيه، فيمسحهما ظاهرًا وباطنًا، ويجزئ أن يمسح على مقدم رأسه وعلى العمامة، وله أن يمسح على العمامة فقط، ثم يغسل رجليه، مع كعبيه، وهو واجب، ويغسلهما ثلاث مرات؛ يبدأ برجله اليمنى، ويغسلهما بيده اليسرى، ويخلل بين أصابع رجليه بخنصر يده، ويعتني بغسل عقبيه، وظهر قدميه، وله أن يمسح على أعلى خفيه، إذا لبسهما على طهارة، ويرتب وضوءه على ما سبق، وهو واجب، ويوالي بين غسل الأعضاء؛ بحيث لا يطيل الفصل بينها عرفًا، فإن أطال أعاد، وله أن يغسل كل عضوٍ من أعضاء وضوئه مرة واحدة، وله أن يغسل كل عضوٍ من أعضاء وضوئه مرتين، ولا يزيد في غسل الأعضاء على ثلاث مرات، وله أن يغاير بين عدد الغسلات لكل عضو، ويتوضأ بالمد، ولا يسرف في الماء، ويدعو بعد الوضوء بالدعاء الوارد، ويصلي ركعتين خاشعتين بعد الفراغ منه، وإن شاء زاد عليهما .

الأدلة من الكتاب والسنة على ما جاء في متن صفة الوضوء

تعريف الوضوء

الوضوء في اللغة: مشتقٌ من الوضاءة، وهي النظافة والجمال والحُسن، والوُضوء بضم الواو: فعل الوضوء، وبفتح الواو: الماء الذي يتوضأ به .

وفي الشرع: استعمال الماء غسلاً ومسحًا، في أعضاء مخصوصة، بنية التعبد لله تعالى .

حكم الوضوء

- **يجب** الوضوء على العبد إذا أراد الصلاة، وكان محدثًا .

لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، سورة المائدة: ٦ .

وهو **شرطٌ** من شروط صحة الصلاة، لا تصح الصلاة إلا به .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ"، متفق عليه .

وحديث علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مِفْتَاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ"، أخرجه الخمسة إلا النسائي .

استحباب الوضوء لكل صلاة

- ويستحب للعبد أن يتوضأ لكل صلاة فريضة، وإن لم يحدث .

لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟، قَالَ: يُجْزِئُ أَحَدَنَا الْوُضُوءُ مَا لَمْ يُحْدِثْ، أخرجه البخاري .

فضل الوضوء

- ومن فضائل الوضوء: أنه كفارة للذنوب .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ – أَوِ الْمُؤْمِنُ – فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ –، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ –، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ – حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ"، أخرجه مسلم .

فضل المداومة على الوضوء

- والمحافظة عليه من علامات الإيمان .

لحديث ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال: "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ"، أخرجه أحمد.

- بل هو نصف الإيمان .

كما في حديث أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"، أخرجه مسلم .

(شطر الإيمان): أي نصفه .

- ومن حافظ على الوضوء الواجب، وأكثر من الوضوء المسنون عظم نوره يوم القيامة .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ"، متفق عليه .

(غرًّا محجَّلين): الغرّة بياض في جبهة الفرس، والتحجيل بياض في قوائمه، وإطالة الغرة والتحجيل تحصل بالمحافظة على الوضوء، وتجديده عند أسبابه؛ حتى يطول النور المنبعث من أعضاء الوضوء يوم القيامة .

فضل إتمام الوضوء على السُنة

- ومن أتمّه على الصفة الشرعية الواردة في الكتاب والسنة: كان كفارة لسيئاته، ورفعة لدرجاته .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟"، قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"، متفق عليه .

(إسباغ الوضوء على المكاره): أي إتمام الوضوء بالإتيان بواجباته وسننه، ولو مع ما يكرهه العبد؛ كالبرد أو المرض .

(فذلكم الرباط): أي الرباط المرغب فيه .

- ومغفرةً لذنوبه الماضية .

لحديث عثمان ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً"، أخرجه مسلم .

وحديث أبي أيوب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ"، أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه .

- وذنوبه الآتية لمدة عشرة أيام .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ"، أخرجه مسلم .

(ما بينه وبين الجمعة): أي الجمعة التي تليها .

- وتجب له الجنة .

لحديث عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"، أخرجه مسلم .

- وتفتح له أبوابها الثمانية .

لحديث عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ – أَوْ فَيُسْبِغُ – الْوَضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ"، أخرجه مسلم .

صفة الوضوء

النية

- وصفته: أن ينوي بقلبه الوضوء، دون أن يتلفظ به، والنية واجبة .

لحديث عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"، متفق عليه .

استعمال السواك

- ثم يدلك فمه بالسواك، وهو سنة .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ الْوُضُوءِ"، أخرجه أحمد .

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، أخرجه مسلم .

التسمية

- ثم يقول: بسم الله .

لحديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ، وقال لأصحابه: "تَوَضَّئُوا بِسْمِ اللَّهِ"، قال: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ، أخرجه النسائي .

غسل الكفين

- ثم يغسل كفيه ثلاثًا، وهو سنة .

لحديث حُمْرَانَ أن عثمان ﷺ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَغَسَلَهُمَا... ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، متفق عليه .

- ويجب غسلهما ثلاثًا إذا استيقظ من النوم .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ"، متفق عليه .

المضمضة والاستنشاق

- ثم يتمضمض، فيضع الماء في فمه، ويحركه، ثم يستنشق، فيضعه في أنفه، ويجذبه بالنفس .

لحديث حُمْرَانَ أن عثمان ﷺ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوَضُوءِ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، وَاسْتَنْثَرَ... ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، متفق عليه .

(واستنثر): أي أخرج الماء من أنفه .

- يفعل ذلك من غرفة واحدة، ثلاث مرات .

لحديث عبد الله بن زيد ﷺ أنه مَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفٍّ وَاحِدَةٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ وُضُوءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أخرجه مسلم.

- ويتمضمض ويستنشق بيده اليمنى، ثم يستنثر بيده اليسرى .

لحديث عَبْدُ خَيْرٍ أن علي بن أبي طالب ﷺ أَدْخَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى، فَمَلأَ فَمَهُ، فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، وَنَثَرَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، فَعَلَ هَذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى طُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَذَا طُهُورُهُ، أخرجه الدارمي.

- والاستنشاق واجب، وخاصة بعد النوم .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلِيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً، ثُمَّ لِيَنْتَثِرْ"، متفق عليه .

ولهما عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: "إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ".

(خياشيمه): الخيشوم هو أعلى الأنف، وقيل: عظامه، وقيل: هو الأنف كله .

- ويبالغ غير الصائم فيه .

لحديث لَقِيط بن صَبْرَة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ، إِلا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا"، أخرجه الأربعة.

غسل الوجه

- ثم يغسل وجهه؛ من منابت شعر الرأس إلى الذقن واللحية طولاً، وما بين الأذنين عرضًا، وهو واجب .

لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾، سورة المائدة: ٦ .

- ويغسله ثلاث مرات .

لحديث حُمْرَانَ أن عثمان ﷺ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ... ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، متفق عليه.

- ويخلل باطن لحيته الكثيفة، وهو سنة .

لحديث عثمان ﷺ أن النبي ﷺ كان يخلل لحيته، أخرجه أحمد والترمذي .

- وصفة ذلك: أن يُدخل ماءً تحت حنكه، فيخلل به لحيته .

لحديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ، أَخَذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ، فَأَدْخَلَهُ تَحْتَ حَنَكِهِ، فَخَلَّلَ بِهِ لِحْيَتَهُ، وَقَالَ: "هَكَذَا أَمَرَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ"، أخرجه أبو داود .

(تحت حنكه): الحَنك هو العظم الذي عليه الأسنان .

غسل اليدين إلى المرفقين

- ثم يغسل يديه، مع مرفقيه، وهو واجب .

لقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾، سورة المائدة: ٦ .

ولحديث نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُجْمِرِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ، أخرجه مسلم .

(أشرع في العضد): أدخل الغسل إليه .

- ويغسلهما ثلاث مرات، يبدأ باليمين .

لحديث حُمْرَانَ أن عثمان ﷺ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ... ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، متفق عليه .

ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ، متفق عليه .

(وترجله): أي تسريحه لشعر رأسه ولحيته بالمشط والدهن .

- ويخلل بين أصابع يديه .

لحديث لَقِيط بن صَبْرَة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ،"، أخرجه الأربعة .

وحديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلْ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ"، أخرجه الترمذي .

مسح الرأس

- ثم يمسح رأسه بالماء، وهو واجب .

لقول الله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾، سورة المائدة: ٦ .

- وصفة ذلك: أن يمسح جميع رأسه بيديه، مرةً واحدة، يبدأ بمقدم رأسه، ثم يذهب بيديه إلى قفاه، ثم يرجعهما إلى مقدم رأسه .

لحديث عبد الله بن زيد ﷺ أنه مَسَحَ رَأْسَهَ بِيَدَيْهِ؛ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، متفق عليه، واللفظ للبخاري، وفي لفظ له: "مَرَّةً وَاحِدَةً" .

- ويأخذ لمسح رأسه ماءً جديدًا إن شاء .

لحديث عبد الله بن زيد ﷺ أنه رأى رسول الله ﷺ مَسَحَ بِرَأْسِهِ بِمَاءٍ غَيْرِ فَضْلِ يَدِهِ، أخرجه مسلم .

وحديث الرُّبَيِّعِ بِنْتَ مُعَوِّذٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَسَحَ بِرَأْسِهِ مِنْ فَضْلِ مَاءٍ كَانَ فِي يَدِهِ، أخرجه أبو داود .

- ويمسح أذنيه مع رأسه .

لحديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " الْأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ "، أخرجه الخمسة إلا النسائي .

- وصفة ذلك: أن يدخل السبابتين في أذنيه، ويمسح بإبهاميه ظاهر أذنيه، فيمسحهما ظاهرًا وباطنًا .

لحديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، فَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ، وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ عَلَى ظَاهِرِ أُذُنَيْهِ، وَبِالسَّبَّاحَتَيْنِ بَاطِنَ أُذُنَيْهِ، أخرجه أبو داود .

- ويجزئ أن يمسح على مقدم رأسه، وعلى العمامة .

لحديث المغيرة بن شعبة ﷺ أن النبي ﷺ تَوَضَّأَ، فَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ، وَعَلَى الْعِمَامَةِ، وَعَلَى الْخُفَّيْنِ، أخرجه مسلم .

(بناصيته): أي مقدم رأسه .

- وله أن يمسح على العمامة فقط .

لحديث عمرو بن أمية ﷺ قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى عِمَامَتِهِ وَخُفَّيْهِ، أخرجه البخاري .

غسل الرجلين إلى الكعبين

- ثم يغسل رجليه، مع كعبيه، وهو واجب .

لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، سورة المائدة: ٦ .

ولحديث نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُجْمِرِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ، قال: ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ، أخرجه مسلم.

- ويغسلهما ثلاث مرات؛ يبدأ برجله اليمنى .

لحديث حُمْرَانَ أن عثمان ﷺ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ... ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، متفق عليه .

ولحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَابْدَءُوا بِمَيَامِنِكُمْ"، أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

- ويغسلهما بيده اليسرى .

لحديث عَبْدُ خَيْرٍ أن علي بن أبي طالب ﷺ أَدْخَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ صَبَّ عَلَى رِجْلِهِ الْيُمْنَى، فَغَسَلَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، ثُمَّ صَبَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى، فَغَسَلَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى فِي الْإِنَاءِ فَمَلَأَهَا مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ شَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا طَهُورُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى طَهُورِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَهَذَا طُهُورِهِ، أخرجه ابن الجارود .

- ويخلل بين أصابع رجليه بخنصر يده .

لحديث الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ ﷺ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ يُخَلِّلُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصَرِهِ، أخرجه الخمسة إلا النسائي.

- ويعتني بغسل عقبيه .

لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ رَأَى رَجُلًا لَمْ يَغْسِلْ عَقِبَيْهِ، فَقَالَ: "وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ"، متفق عليه، وهو لفظ مسلم.

(للأعقاب): العقب هو مؤخر القدم .

- وظهر قدميه .

لحديث عمر بن الخطاب ﷺ أَنَّ رَجُلاً تَوَضَّأَ، فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفُرٍ عَلَى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "ارْجِعْ، فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ"، فَرَجَعَ، ثُمَّ صَلَّى، أخرجه مسلم .

- وله أن يمسح على أعلى خفيه، إذا لبسهما على طهارة .

لحديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ؛ أي في المسح على الخفين، أخرجه مسلم .

ولما أخرجه أبو داود عنه قال: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ .

الترتيب

- ويرتب وضوءه على ما سبق، وهو واجب .

لحديث رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال للمسيء صلاته: "تَوَضَّأْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ"، أخرجه أبو داود والترمذي.

الموالاة

- ويوالي بين غسل الأعضاء؛ بحيث لا يطيل الفصل بينها عرفًا، فإن أطال أعاد .

لحديث خالد بن معدان عن بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ رَأَى رَجُلاً يُصَلِّي، وَفِي ظَهْرِ قَدَمِهِ لُمْعَةٌ قَدْرُ الدِّرْهَمِ، لَمْ يُصِبْهَا الْمَاءُ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعِيدَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ، أخرجه أبو داود .

الوضوء مرة مرة لكل عضو

- وله أن يتوضأ، ويغسل كل عضوٍ من أعضاء وضوئه مرة واحدة .

لحديث ابن عباس ﷺ قال: تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّةً مَرَّةً، أخرجه البخاري .

الوضوء مرتين مرتين لكل عضو

- وله أن يغسل كل عضوٍ من أعضاء وضوئه مرتين .

لحديث عبد الله بن زيد ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، أخرجه البخاري .

عدم زيادة الوضوء على ثلاث مرات

- ولا يزيد في غسل الأعضاء على ثلاث مرات .

لحديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ عَنِ الْوُضُوءِ؟ فَأَرَاهُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ، وَتَعَدَّى، وَظَلَمَ"، أخرجه الخمسة إلا الترمذي .

الوضوء على مرات مختلفة

- وله أن يغاير بين عدد الغسلات لكل عضو .

لحديث عبد الله بن زيد ﷺ أَنَّه غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ، فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ وَأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ وُضُوءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، متفق عليه .

الاقتصاد في الوضوء

- ويتوضأ بالمد .

لحديث أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، أخرجه مسلم .

(بالصاع): ويساوي أربعة أمداد، والمد ملء كفي الإنسان المعتدل، إذا ملأهما ومد يده بهما، وقدّر بعض أهل العلم المد بـ ٦٢٥ غرامًا من حب البر الجيد الرزين .

- ولا يسرف في الماء .

لحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ"، أخرجه أحمد وأبو داود . (يعتدون): يتجاوزون الحدّ .

الدعاء بعد الوضوء

- ويدعو بعد الوضوء بالدعاء الوارد .

كحديث عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ – أَوْ فَيُسْبِغُ – الْوَضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ"، أخرجه مسلم، وزاد الترمذي: "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ" .

وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ تَوَضَّأَ، فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ وُضُوئِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، خُتِمَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ، فَوُضِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة .

صلاة ركعتين بعد الوضوء

- ويصلي ركعتين خاشعتين بعد الفراغ منه .

لحديث عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"، أخرجه مسلم .

وحديث عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، متفق عليه .

- وإن شاء زاد عليهما .

لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الغداة: "يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ"، قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ"، متفق عليه .

(خَشْف نعليك): الخشف: الحركة، والصوت الذي ليس بالقوي .

(تمت الرسالة، بحمد الله تعالى وتوفيقه)

فصل آداب السلام

من شرح الآداب الشرعية من القرآن العظيم والسنة النبوية

بقلم فضيلة الشيخ

د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

آداب السلام

يتأكد إفشاء السلام،[٢]

---

(٢) لحديث أبي هريرة ﷺ أَن رسول اللَّه ﷺ قَالَ: "والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"، أخرجه مسلم.

قال في التيسير بشرح الجامع الصغير (٣/٢): "(أفشوا السلام بينكم): أعلنوه، وعموا به، من عرفتموه وغيره؛ فإنه يزيل الضغائن، ويورث التحابب".

قال الصنعاني في سبل السلام (٦١١/٢): "والسلام: اسم من أسماء الله تعالى، فقوله: السلام عليكم؛ أي أنتم في حفظ الله؛ كما يقال: الله معك، والله يصحبك، وقيل: السلام بمعنى السلامة؛ أي سلامة الله ملازمة لك".

وقال ابن حجر في فتح الباري (٢٠/١١): "ويدخل في عموم إفشاء السلام: السلام على النفس لمن دخل مكانًا ليس فيه أحد؛ لقوله تعالى: (فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم)، الآية، وأخرج البخاري في الأدب المفرد وابن أبي شيبة بسند حسن عن ابن عمر فيستحب إذا لم يكن أحد في البيت أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وأخرج الطبري عن ابن عباس - ومن طريق كل من علقمة وعطاء ومجاهد نحوه - ويدخل

فيه من مرّ على من ظنّ أنه إذا سلّم عليه لا يرد عليه؛ فإنه يشرع له السلام، ولا يتركه لهذا الظن؛ لأنه قد يخطىء، قال النووي: وأما قول من لا تحقيق عنده أن ذلك يكون سببًا لتأثيم الآخر فهو غباوة؛ لأن المأمورات الشرعية لا تترك بمثل هذا، ولو أعملنا هذا لبطل إنكار كثير من المنكرات، قال: وينبغي لمن وقع له ذلك أن يقول له بعبارة لطيفة رد السلام واجب، فينبغي أن ترد؛ ليسقط عنك الفرض، وينبغي إذا تمادى على الترك أن يحلله من ذلك؛ لأنه حق آدمي، ورجح ابن دقيق العيد في شرح الإلمام المقالة التي زيفها النووي بأن مفسدة توريط المسلم في المعصية أشد من ترك مصلحة السلام عليه، ولا سيما وامتثال الإفشاء قد حصل مع غيره".

وقال في بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ص(٨١): "والسلام من محاسن الإسلام؛ فإن كل واحد من المتلاقيين يدعو للآخر بالسلامة من الشرور، وبالرحمة والبركة الجالبة لكل خير، ويتبع ذلك من البشاشة، وألفاظ التحية المناسبة ما يوجب التآلف والمحبة، ويزيل الوحشة والتقاطع".

وقال النووي في شرح مسلم (٢/٣٦): "وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين".

وقال في فتح الباري لابن حجر (١١/١٨): "قال ابن العربي: فيه أن من فوائد إفشاء السلام: حصول المحبة بين المتسالمين، وكان ذلك لما فيه من ائتلاف الكلمة؛ لتعم المصلحة

ومنه: أن يسلم على كل مسلم لقيه،[٣] عرفه أو لم يعرفه،[٤]

بوقوع المعاونة على إقامة شرائع الدين، وإخزاء الكافرين، وهي كلمة إذا سمعت أخلصت القلب الواعي لها عن النفور إلى الإقبال على قائلها".

ومتى يترك إلقاء السلام قال ابن حجر في فتح الباري (١١/٢٠): "قال النووي: وأما السلام حال الخطبة في الجمعة فيكره للأمر بالإنصات، فلو سلم لم يجب الرد عند من قال الإنصات واجب، ويجب عند من قال: إنه سنة، وعلى الوجهين لا ينبغي أن يرد أكثر من واحد، وأما المشتغل بقراءة القرآن، فقال الواحدي: الأولى ترك السلام عليه، فإن سلّم عليه كفاه الرد بالإشارة، وإن رد لفظًا استأنف الاستعاذة وقرأ، قال النووي: وفيه نظر، والظاهر أنه يشرع السلام عليه ويجب عليه الرد، ثم قال: وأما من كان مشتغلاً بالدعاء مستغرقًا فيه مستجمع القلب فيحتمل أن يقال: هو كالقارئ، والأظهر عندي أنه يكره السلام عليه؛ لأنه يتنكد به، ويشق عليه أكثر من مشقة الأكل".

(٣) لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: "حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلّم عليه ..."، أخرجه مسلم.

قال القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/١١٢٠): " (إذا لقيته فسلم عليه) أي: ابتداءً وجوابًا".

وقال في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥١٧/٣): "(إذا لقيته فسلم عليه) ندبًا؛ لأنه إذا لم يسلم عليه فقد احتقره، واحتقاره احتقار لما خلق الله في أحسن تقويم وعظمه وشرفه، فهو من أعظم الجرائم والذنوب العظائم".

(٤) لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف"، أخرجه البخاري ومسلم.

قال ابن رجب في فتح الباري (٤٢/١): "ومراده: الإسلام التام الكامل، وهذه الدرجة في الإسلام فضل، وليست واجبة، إنما هي إحسان، وأما سلامة المسلمين من اللسان واليد فواجبة إذا كانت من غير حق، فإن كانت السلامة من حق كان – أيضًا – فضلاً".

وقال في المنتقى شرح الموطأ (٢٨٣/٧): "وكان عبد الله بن عمر ﷺ يتوخى في السوق كثرة الناس؛ ليكثر سلامه".

وقال الصنعاني في سبل السلام (٦٩٤/٢): "قال النووي: في التسليم على من لم يعرف إخلاص العمل لله تعالى واستعمال التواضع، وإفشاء السلام الذي هو شعار هذه الأمة، وقال ابن بطال: في مشروعية السلام على غير معروف استفتاح المخاطبة للتأنيس؛ ليكون المؤمنون كلهم إخوة، فلا يستوحش أحد من أحد".

ممن لا يحل هجره،[٥]

وقال ابن حجر في فتح الباري (٥٦/١): "فإن قيل: اللفظ عام فيدخل الكافر والمنافق والفاسق، أجيب: بأنه خص بأدلة أخرى، أو أن النهي متأخر، وكان هذا عامًا لمصلحة التأليف"، وقال (٢١/١١): "قلت: وفيه من الفوائد أنه لو ترك السلام على من لم يعرف احتمل أن يظهر أنه من معارفه فقد يوقعه في الاستيحاش منه".

قال في عون المعبود (٦٩/١٤): "قلت: وتخصيص السلام بمن يعرف من أشراط الساعة؛ كما جاء في الحديث رواه الطحاوي وغيره عن ابن مسعود".

(٥) لحديث كعب بن مالك ﷺ في قصة تخلفه عن غزوة تبوك، قال: فكنتُ أخرج، فأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلّم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام، أم لا"، متفق عليه، ولحديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، قال: قدمتُ على أهلي ليلاً، وقد تشققت يداي، فخلقوني بزعفران، فغدوت على النبي ﷺ، فسلمتُ عليه، فلم يرد عليّ، ولم يرحب بي، وقال: "اذهب فاغسل هذا عنك"، فذهبت فغسلته، ثم جئت، وقد بقي عليّ منه ردع، فسلمت فلم يرد عليَ، ولم يرحب بي، وقال: "اذهب فاغسل هذا عنك"، فذهبت فغسلته، ثم جئت فسلمت عليه فرد عليّ، ورحب بي، وقال: "إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير، ولا المتضمخ بالزعفران، ولا الجنب"، أخرجه أبو داود، فإن كان ممن لا يحل هجره لم يجز ترك السلام؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول ﷺ قال: "ولا يكون لمسلم أن

وإذا حالت بينهما شجرة أو جدار سلّم،[٦] وإذا دخل بيتًا،[٧]

يهجر مسلمًا فوق ثلاثة، فإذا لقيه سلّم عليه ثلاث مرار، كل ذلك لا يرد عليه فقد باء بإثمه"، أخرجه أبو داود.

قال عبد المحسن العباد في شرح سنن أبي داود (١٩٢/٢٨): "فلا يبني على مجرد كونه ألقى السلام؛ لوجود احتمال أنه لم يسمع، بل يتأكد ويتحقق أنه سمع؛ وذلك بأن يكرر السلام ثلاثاً، هذا هو المقصود والمراد من التكرار".

وقال في مرقاة المفاتيح (٣١٥٢/٨): "فالمعنى أن المسلم خرج من إثم الهجران، وبقي الإثم على الذي لم يرد السلام، أي فهو قد باء بإثم هجرانه، ويحتمل أن يكون للمسلم، والمعنى أنه ضم إثم هجران المسلم إلى إثم هجرانه، وباء بهما؛ لأن التهاجر يعد منه وبسببه".

(٦) لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو حائط أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه"، أخرجه مسلم.

قال القاري في مرقاة المفاتيح (٢٩٤٦/٧): "(ثم لقيه، فليسلم عليه) أي: مرة أخرى تجديدًا للعهد، وتأكيدًا للود، قال الطيبي: فيه حث على إفشاء السلام، وأن يكرر عند كل تغير حال ولكل جاء وغاد".

(٧) لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النور: ٢٧]، وكذا إذا دخل بيته لحديث أبي

مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا ولج الرجل بيته، فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله"، أخرجه أبو داود، ولحديث أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ومن دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل "، أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

واختلف الشراح في معنى (فهو ضامن على الله) على أقوال:

- قال القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/٦١١): "(فهو ضامن على الله)؛ أي: واجب الحفظ والرعاية عليه تعالى؛ كالشيء المضمون".
- وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٥٥): "معنى أنه ضامن على الله أن ينجيه من أهوال القيامة".
- وقال في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/٤٤٠): "فمعنى قوله: (فهو ضامن على الله) أي: يعطيه البركة والثواب الكثير".

قال الخطابي في معالم السنن (٢/٢٣٨): "قوله: (ضامن على الله) معناه مضمون، فاعل بمعنى مفعول؛ كقوله سبحانه {في عيشة راضية} [الحاقة: ٢١] أي مرضية ... وقوله: (ورجل دخل بيته بسلام) يحتمل وجهين: أحدهما أن يسلم إذا دخل منزله؛ كما قال تعالى {فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة} [النور: ٦١] والوجه الآخر أن يكون أراد بدخول بيته بسلام؛ أي لزم البيت طلب السلامة من الفتن، يُرغب بذلك في العزلة، ويأمره بالإقلال من الخلطة، ورجح الطيبي الثاني".

ولو غير مسكونٍ،[٨] أو قدم مجلسًا أو انصرف عنه،[٩] ويسلم على الصبيان،[١٠]

---

(٨) لقوله تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً } [النور: ٦١].

قال ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (٣/٣٠٩): "(فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً) فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت أنفسكم، فسلِّموا على أهاليكم وعيالكم، قاله جابر بن عبد الله، وطاوس، وقتادة، والثاني: أنها المساجد، فسلِّموا على مَنْ فيها، قاله ابن عباس، والثالث: بيوت الغير، فالمعنى: إِذا دخلتم بيوت غيركم فسلِّموا عليهم، قاله الحسن".

قال الطبري (١٧/٣٨٣): "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتًا من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض".

(٩) لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم؛ فليست الأولى أحق من الآخرة"، أخرجه أبو داود والترمذي.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/٦٩٤): "ويشرع السلام عند القيام من الموقف كما يشرع عند الدخول".

قال في مصابيح التنوير (١/٢٥٣): "(فليسلم) عليهم أيضاً ندباً مؤكداً، وإن قصر الفصل بين سلامه وقيامه، وإن قام فوراً، وعلله بقوله: (فليست) التسليمة (الأولى بأحق) أي بأولى

والنساء إن أمنت الفتنة،[١١] والعكس، [١٢]

(من) التسليمة (الآخرة)، وفي نسخة: (الأخرى)؛ أي كلا التسليمتين حق وسنة، وكما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور، فكذا الثانية إخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة، قال النووي: ظاهر الحديث أنه يجب على الجماعة رد السلام على من سلم عليهم وفارقهم، وقول القاضي والمتولي السلام عند المفارقة دعاء يندب رده، ولا يجب؛ لأن التحتية إنما تكون عند اللقاء، رده الشاشي بأن السلام سنة عند الانصراف؛ كما هو سنة عند الجلوس، قال أعني النووي: وهذا هو الصواب".

(١٠) لحديث أنس ﷺ أنه كان يمشى مع رسول الله ﷺ، فمرّ بصبيان فسلّم عليهم"، أخرجه البخاري ومسلم.

قال القاضي عياض في إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٢٦/٧): "وفى الرواية الأخرى : (غلمان) وهما بمعنى، يقال للمولود : غلام، من حين يولد إلى بلوغه، وتقول العرب – للرجل المستجمع قوة: غلام، فيه تواضعه ﷺ، وحسن عشرته مع الصغير والكبير، وتدريب الجميع على السق والآداب، ورياضة لهم بخلق الشريعة، وفيه سنة السلام على الصبيان الذين يعقلون ذلك ويفهمونه؛ اقتداء به عليه السلام، وأنه من جملة المسلمين، ومن تشملهم أحكامه".

(١١) لحديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ في المسجد وعصبة من النساء قعود، قال بيده إليهن بالسلام، أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

قال ابن حجر في فتح الباري (١٤/١١): "فألوى بيده بالتسليم فإنه محمول على أنه جمع بين اللفظ والإشارة، وقد أخرجه أبو داود من حديثها بلفظ: فسلم علينا".

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٢٦/٧): "وأما التسليم على النساء، اختلف العلماء في ذلك، فجمهورهم - مالك وغيره - على جواز ذلك على المتجالأَت ابتداء، وكراهيته على الشابة؛ مخافة الفتنة من خلطتها ومكالمتها وردها وسماع صوتها، وحجتهم: عموم الأمر بإفشاء السلام في الأحاديث، وحديث سلامهم على العجوز بعد صلاة الجمعة التي كانت تطبخ لهم أصول السلق بالشعير وتطعمهم، وقال الكوفيون: لا يسلم الرجال على النساء إذا لم يكن منهم ذوات محارم، وقالوا: كما سقط عنها الأذان والإقامة والجهر بالقراءة في الصلاة، سقط عنها رد السلام، ولا نسلم عليهن".

وقال في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣١٦/٥): "(كان يمر بنساء فيسلم عليهن) حتى الشواب وذوات الهيئة؛ لأنه كالمحرم لهن، ولا يشرع ذلك لغير المعصوم، ويكره من أجنبي على شابة ابتداءً وردًا، ويحرمان منها عليه".

([١٢]) لحديث أم هانئ رضي الله عنها قالت: ذهبت إلى النبي ﷺ وهو يغتسل، فسلمت عليه، فقال: "من هذه؟"، فقلت: أم هانئ، قال: "مرحبًا بأم هانئ"، أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

قال ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين (٤١٨/٤): "فلا بأس ولا حرج بشرط أمن الفتنة، وكذلك المرأة تسلم على الرجل بشرط أمن الفتنة".

ولا يأذن لمن لم يبدأه بالسلام. [١٣]

وقال ابن عبد البر في الاستذكار (٢/٢٦١): "وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من الأخلاق الجميلة الحسنة، وصلة الرحم وطيب الكلام ألا ترى إلى قوله عليه السلام: (مرحبًا بأم هانئ)، ويروى: (مرحبًا يا أم هانئ)، والرحب والتسهيل ما يستدل به على فرح المرور بالزائر، وفرح المقصود إليه بالقاصد".

وقال النووي في شرح مسلم (٥/٢٣١): "فيه استحباب قول الإنسان لزائره والوارد عليه مرحبًا ونحوه من ألفاظ الإكرام والملاطفة، ومعنى مرحبًا: صادفت رحبًا؛ أي سعة".

وقال الشنقيطي في شرح الترمذي (٤٠/٢٢): "قال العلماء : إن الله أطلق فقال :{وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا} فأطلق الحسن؛ والسبب في هذا أن أعراف الناس تختلف، وأحوالهم تختلف، وبيئاتهم تختلف، فلم يحدنا الشرع بشيء معين، فكل ما جرى في عرف الناس من التحايا، ومما يدل على إكرام الضيف، أو إكرام المسلم، أو إكرام الداخل فإنه محمود".

(١٣) لحديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام"، أخرجه البيهقي.

قال القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/٢٩٦٢): "(لا تأذنوا) أي: بالدخول أو للطعام (لمن لم يبدأ بالسلام) أي: بسلام الإذن، أو بسلام الملاقاة بأن دخل ساكتًا أو بدأ

وصفة إلقاء السلام: أن يقول: السلام عليكم، وأفضل منه أن يزيد: ورحمة الله، وأفضل منهما أن يزيد: ورحمة الله وبركاته،[١٤]

بالكلام، وقال الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير (٧٨/١١): "فلا يستحق أن يؤذن له؛ لإخلاله بالأدب الشرعي".

([١٤]) لحديث أبي هريرة ﷺ أن رجلاً مرّ على رسول الله ﷺ وهو في مجلس، فقال: السلام عليكم، فقال"عشر حسنات"، فمر رجل آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال: "عشرون حسنة"، فمر رجل آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: "ثلاثون حسنة"، أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

قال النووي في شرح مسلم (١٤١/١٤): "وإذا قال المبتدي: سلام عليكم أو السلام عليكم، فقال المجيب: مثله سلام عليكم أو السلام عليكم كان جوابًا، وأجزأه، قال الله تعالى: (قالوا سلامًا قال سلامٌ)، ولكن بالألف واللام أفضل".

وقال السيوطي في شرح ابن ماجه ص(٢٣٤): "وأقل السلام أن يقول: السلام عليكم؛ فإن كان المسلم عليه واحدًا فأقله السلام عليك، والأفضل أن يقول: السلام عليكم؛ ليتناوله وملكيه، وأكمل منه أن يزيد ورحمة الله، وأيضًا بركاته".

وقال ابن حجر في فتح الباري (٥/١١): "ونقل ابن دقيق العيد عن بعض الشافعية أن المبتدئ لو قال: عليكم السلام لم يجز؛ لأنها صيغة جواب، قال: والأولى الإجزاء؛ لحصول

ويكرره حتى يسمعه،[١٥] ولا يقل: عليك السلام،[١٦]

مسمى السلام، ولأنهم قالوا: إن المصلي ينوي بإحدى التسليمتين الرد على من حضر، وهي بصيغة الابتداء".

والأحاديث التي جاءت في أن أجر بعض الأعمال ثلاثون حسنة غير السلام:

- "ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة، وحط عنه ثلاثون خطيئة"، أخرجه عن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ .
- "من أذن ثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة"، أخرجه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(١٥) لحديث أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا، أخرجه البخاري.

قال في دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١٦٦/٥): "(وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً) إما لكثرتهم بحيث أن سلامه على أولهم لا ينتهي إلى أواسطهم وأواخرهم، وإما لغفلة بعضهم عن سلامه؛ لكونه نائماً، أو في شغل بال، أو نحو ذلك كما بينته في شرح الأذكار، أو أنه عند الاستئذان؛ كما قال الخطابي، ففي الحديث: "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً، فلم يؤذن له فليرجع"، ونظر فيه بأن الإذن إذا حصل بنحو التسليمة الأولى لا تسن الثانية.، قال البرماوي: والأوجه أن معناه كان إذا أتى على قوم سلم تسليم الاستئذان، وإذا دخل سلم تسليم التحية، وإذا خرج سلم تسليم الوداع".

(١٦) لحديث أبي جري الهجيمي ﷺ، قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله، قال: "لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى"، أخرجه أبو داود.

قال النووي في شرح مسلم (١٤/١٤٠): "ويكره أن يقول المبتدي: عليكم السلام، فإن قاله استحق الجواب على الصحيح المشهور، وقيل: لا يستحقه".

وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/٥): "وقد اعترض هو ما دل عليه الحديث بما أخرجه مسلم من حديث عائشة في خروج النبي ﷺ إلى البقيع الحديث، وفيه: قلت كيف أقول ؟ قال: (قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين) ... وقال ابن العربي: في السلام على أهل البقيع لا يعارض النهي في حديث أبي جري لاحتمال أن يكون الله أحياهم لنبيه ﷺ فسلم عليهم سلام الأحياء، كذا قال، ويرده حديث عائشة المذكور، قال: ويحتمل أن يكون النهي مخصوصًا بمن يرى أنها تحية الموتى، وبمن يتطير بها من الأحياء؛ فإنها كانت عادة أهل الجاهلية، وجاء الإسلام بخلاف ذلك، قال عياض وتبعه ابن القيم في الهدي فنقح كلامه، فقال: ... وإنما معنى قوله: عليك السلام تحية الموتى إخبار عن الواقع لا عن الشرع؛ أي أن الشعراء ونحوهم يحيون الموتى به ... وقال عياض أيضًا: كانت عادة العرب في تحية الموتى تأخير الاسم؛ كقولهم: عليه لعنة الله وغضبه عند الذم، وكقوله تعالى: (وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين)، وتعقب بأن النص في الملاعنة ورد بتقديم اللعنة والغضب على الاسم، وقال القرطبي: يحتمل أن يكون حديث عائشة لمن زار المقبرة فسلّم على جميع من بها، وحديث أبي جري إثباتًا ونفيًا في السلام على الشخص الواحد".

ولا يسلم برأسه وكفه وإشارته دون أن ينطق بالسلام،[١٧] بل يرفع صوته معتدلاً،[١٨]

وقال في دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢١/٥): "والحديث إخبار عن عادتهم في الجاهلية لا تعليم لهم، أو المراد بالموتى كفار الجاهلية: أي تحية موتى القلوب؛ فلا تفعلوه".

قال ابن القيم في حاشيته على أبي داود مطبوع مع عون المعبود (٩٣/١١): "وفيه أيضًا نكتة حسنة، وهي أن الدعاء بالسلام دعاء بخير، والأحسن في دعاء الخير أن يقدم الدعاء على المدعو له؛ كقوله تعالى: (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت)، وقوله: (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت)، وقوله: (سلام عليكم بما صبرتم)، وأما الدعاء بالشر فيقدم المدعو عليه على الدعاء غالبًا؛ كقوله لإبليس: (وأن عليك لعنتي)، وقوله: (وإن عليك اللعنة)، وقوله: (عليهم دائرة السوء)، وقوله: (وعليهم غضب ولهم عذاب شديد)، وسر هذا أن في الدعاء بالخير يقدم اسم الدعاء المحبوب المطلوب الذي تشتهيه النفوس؛ فيبده".

(١٧) لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف"، أخرجه الترمذي.

قال القاري في مرقاة المفاتيح (٢٩٤٦/٧): "ولعلهم كانوا يكتفون في السلام أو رده أو فيهما بالإشارتين من غير نطق بلفظ السلام، الذي هو سنة آدم وذريته من الأنبياء والأولياء، وكأنه ﷺ كوشف له أن بعض أمته يفعلون ذلك، أو مثل ذلك من الانحناء أو مطأطأة الرأس، أو الاكتفاء بلفظ السلام فقط".

وتسن المصافحة معه،[١٩] وأفضلهما آخرهما نزعًا،[٢٠] ولا يصافح النساء الأجنبيات.[٢١]

([١٨]) لحديث المقداد ﷺ في وصف سلام النبي ﷺ قال: فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويسمع اليقظان، أخرجه مسلم.

قال النووي في شرح مسلم (١٤/١٤): "هذا فيه آداب السلام على الأيقاظ في موضع فيه نيام، أو من في معناهم، وأنه يكون سلامًا متوسطًا بين الرفع والمخافتة؛ بحيث يسمع الأيقاظ، ولا يهوش على غيرهم".

وقال ابن حجر في فتح الباري (١٩/١١): "واستدل بالأمر بإفشاء السلام على أنه لا يكفي السلام سرًا، بل يشترط الجهر، وأقله أن يسمع في الابتداء وفي الجواب، ولا تكفي الإشارة باليد ونحوه".

([١٩]) لحديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا"، أخرجه الخمسة إلا النسائي.

قال أنس ﷺ في أهل اليمن: وهم أول من جاء بالمصافحة، أخرجه أبو داود.

قال ابن حجر في فتح الباري (٥٥/١١): "ويستثنى من عموم الأمر بالمصافحة المرأة الأجنبية، والأمرد الحسن".

وقال القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٢٠/٨): "ويستثنى الأمرد الجميل الوجه، فتحرم مصافحته، ومن به عاهة؛ كالأبرص والأجذم فتكره مصافحته؛ كما قاله العبادي، وتكره المعانقة والتقبيل في الرأس والوجه، ولو كان المقبّل أو المقبل صالحًا؛ لحديث رواه الترمذي وحسنه ولفظه قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: "لا"، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: "لا"، قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: "نعم"، نعم، يستحبان لقادم؛ لحديث الترمذي وحسنه، كتقبيل الطفل ولو ولد غيره شفقة لأنه ﷺ قبّل ابنه إبراهيم والحسن بن علي، وكتقبيل يد الحيّ لصلاح؛ كما كانت الصحابة تفعله مع النبي ﷺ، نعم، يكره ذلك لغناه ونحوه من الأمور الدنيوية".

وقال ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين (٤٤٨/٤): "وتقبيل اليد لا بأس به إذا كان الرجل أهلاً لذلك".

([٢٠]) لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، أخرجه الترمذي.

قال الطيبي في شرح المشكاة (٣٧٠٩/١٢): "وفي قوله: (كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه) تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه، فلا يبدأ بالمفارقة عنه، ولا يهينه بمد الرجلين إليه في وجهه، وإرشاد لهم أن يكرموا من يجالسهم ويصافحهم؛ جلباً للمودة بينهم".

ويبدأ بالسلام الراكبُ، والماشي، والقليل،[٢٢] والصغير،[٢٣]

([٢١]) لحديث أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ"، أخرجه النسائي.

قال السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه (٢/٢٠٤): "قوله: (إني لا أصافح النساء) أي: الأجنبيات".

وقال المناوي في التيسير (١/٣٦٨): "(إني لا أصافح النساء) أي لا أضع يدي في يدهن بلا حائل".

([٢٢]) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ"، أخرجه البخاري ومسلم .

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٩/١٥): "قال المهلب: هذه آداب من النبي عليه السلام ... وتسليم المار على القاعد: هو من باب الداخل على القوم، فعليه أن يبدأهم بالسلام، وكذلك فعل آدم بالملائكة حين قيل له: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس، وتسليم القليل على الكثير من باب التواضع أيضًا؛ لأن حق الكثير أعظم من حق

القليل، وكذلك فعل أيضًا آدم كان وحده، والملأ من الملائكة كثير حين أمر بالسلام عليهم، وسلام الراكب على الماشي؛ لئلا يتكبر بركوبه على الماشي، فأمر بالتواضع".

قال في طرح التثريب في شرح التقريب (١٠١/٨): "متى تمكن المأمور من هذه الأحاديث بالابتداء منه فلم يبتدئ كان تاركًا للسنة، وأما الآخر فلا حرج عليه في المبادرة؛ لأن الأمر بالابتداء لم يتوجه إليه وقد بادر إلى فعل خير".

([٢٣]) لحديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ"، أخرجه البخاري .

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (١٥/٩): "قال المهلب: هذه آداب من النبي عليه السلام، وأما وجه تسليم الصغير على الكبير: فمن أجل حق الكبير على الصغير بالتواضع له والتوقير".

وقال ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤٥١/٣): "فأما العدد الكثير فله زيادة مرتبة بالكثرة، فشرع تسليم الناقص على الكامل، وكذلك الصغير على الكبير".

وقال في طرح التثريب في شرح التقريب (١٠١/٨): "وسببه أنه إجلال من الصغير للكبير وتعظيم له؛ لأن السن الحاصل في الإسلام مرعي في الشرع يحصل به التقديم في أمور كثيرة معروفة".

وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/١٧): "فلو تعارض الصغر المعنوي والحسي كأن يكون الأصغر أعلم مثلاً، فبه نظر، ولم أر فيه نقلاً، والذي يظهر اعتبار السن؛ لأنه الظاهر؛ كما تقدم الحقيقة على المجاز، ونقل ابن دقيق العيد عن ابن رشد أن محل الأمر في تسليم الصغير على الكبير إذا التقيا، فإن كان أحدهما راكبًا والآخر ماشيًا بدأ الراكب، وإن كانا راكبين أو ماشيين بدأ الصغير، وقال المازري وغيره: هذه المناسبات لا يعترض عليها بجزئيات تخالفها؛ لأنها لم تنصب نصب العلل الواجبة الاعتبار؛ حتى لا يجوز أن يعدل عنها، حتى لو ابتدأ الماشي فسلم على الراكب لم يمتنع؛ لأنه ممتثل للأمر بإظهار السلام وإفشائه، غير أن مراعاة ما ثبت في الحديث أولى، وهو خبر بمعنى الأمر على سبيل الاستحباب، ولا يلزم من ترك المستحب الكراهة، بل يكون خلاف الأولى، فلو ترك المأمور بالابتداء فبدأه الآخر كان المأمور تاركًا للمستحب، والآخر فاعلاً للسنة، إلا إن بادر فيكون تاركًا للمستحب أيضًا، وقال المتولي: لو خالف الراكب أو الماشي ما دل عليه الخبر كره، قال: والوارد يبدأ بكل حال، وقال الكرماني: لو جاء أن الكبير يبدأ الصغير، والكثير يبدأ القليل لكان مناسبًا؛ لأن الغالب أن الصغير يخاف من الكبير، والقليل من الكثير، فإذا بدأ الكبير والكثير أمن منه الصغير والقليل، لكن لما كان من شأن المسلمين أن يأمن بعضهم بعضًا اعتبر جانب التواضع".

وقال النووي في شرحه على مسلم (١٤/١٤١): "والصغير على الكبير كله للاستحباب، فلو عكسوا جاز، وكان خلاف الأفضل".

فإن استويا فأفضلهما من بدأ بالسلام،[٢٤] ولا يبدأ أهل الكتاب .[٢٥]

([٢٤]) لحديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الْمَاشِيَانِ إِذَا اجْتَمَعَا فَأَيُّهُمَا بَدَأَ بِالسَّلَامِ فَهُوَ أفضل"، أخرجه البخاري في الأدب المفرد .

قال الصنعاني في سبل السلام (٦١٩/٢): "وإذا تساوى المتلاقيان من كل جهة فكل منهما مأمور بالابتداء، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ... وأخرج الطبراني بسند صحيح عن الأغر المزني قال: قال لي أبو بكر: لا يسبقك أحد بالسلام، وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة مرفوعًا: "إن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام".

وفي الحديث: "من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله"، أخرجه أحمد عن أبي أمامة ﷺ.

([٢٥]) لحديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ"، أخرجه مسلم.

قال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٩٣٩/٧): "(لا تبدءوا اليهود ولا النصارى) أي: ولو كانوا ذميين، فضلاً عن غيرهما من الكفار، (بالسلام): لأن الابتداء به إعزاز للمسلم عليه، ولا يجوز إعزازهم، وكذا لا يجوز تواددهم وتحابهم بالسلام ونحوه، قال تعالى: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله} [المجادلة: ٢٢] الآية، ولأنا مأمورون بإذلالهم، كما أشار إليه سبحانه بقوله: {وهم صاغرون} [التوبة: ٢٩]، ويؤيده قوله: (وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه)؛ أي: ألجئوا أحدهم (إلى أضيقه) أي:

أضيق الطريق بحيث لو كان في الطريق جدار يلتصق بالجدار، وإلا فيأمره ليعدل عن وسط الطريق إلى أحد طرفيه جزاءً وفاقًا؛ لما عدلوا عن الصراط المستقيم".

قال في طرح التثريب في شرح التقريب (١١١/٨): "أما ابتداؤهم بالسلام: فمنعه أكثر العلماء، وذهبت طائفة إلى جوازه، وروي ذلك عن ابن عباس وأبي أمامة وابن محيريز، وهو وجه لبعض أصحابنا حكاه الماوردي، لكنه قال: يقول السلام عليك، ولا يقول السلام عليكم بالجمع، وتمسك هؤلاء بعموم أحاديث إفشاء السلام، وكيف يصح التمسك بها مع ورود المخصص، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام"، وقال بعض أصحابنا: يكره ابتداؤهم بالسلام، ولا يحرم، ويرده أن ظاهر النهي التحريم، وهو الصواب، وقالت طائفة: يجوز ابتداؤهم به لضرورة أو حاجة أو سبب، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي، وعن الأوزاعي أنه قال: إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون".

قال في مرقاة المفاتيح (٢٩٣٩/٧): "قال - أي النووي-: وأما المبتدع فالمختار أنه لا يبدأ بالسلام إلا لعذر وخوف من مفسدة، ولو سلم على من لم يعرفه، فبان ذميًا استحب أن يسترد سلامه؛ بأن يقول: استرجعت سلامي تحقيرًا له، قلت: ولا بأس بمثل هذا للمبتدع، أو للمباغض، أو المتكبر الذين لم يردوا عليه السلام".

وقال في سبل السلام (٦٢١/٢): "وعن مالك أنه لا يستحب أن يسترده، واختاره ابن العربي".

رد السلام:

ويجب على الكفاية ردّه،[٢٦] بمثله أو أحسن منه،[٢٧]

([٢٦]) لحديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُجْزِئُ عَنِ الْجَمَاعَةِ، إِذَا مَرُّوا، أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ"، أخرجه أبو داود.

قال ابن حجر في فتح الباري (٧/١١): "وقال الحليمي: إنما كان الرد واجبًا؛ لأن السلام معناه الأمان، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه فإنه يتوهم منه الشر، فيجب عليه دفع ذلك التوهم عنه ... واحتج ابن بطال بالاتفاق على أن المبتدئ لا يشترط في حقه تكرير السلام بعدد من يسلم عليهم؛ كما في حديث الباب من سلام آدم، وفي غيره من الأحاديث، قال: فكذلك لا يجب الرد على كل فرد فرد إذا سلم الواحد عليهم".

([٢٧]) قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا } [النساء: ٨٦].

قال النووي في شرح مسلم (١٤/١٤١): "ولو اقتصر على وعليكم السلام أو على عليكم السلام أجزأه ولو اقتصر على عليكم لم يجزه بلا خلاف، ولو قال: وعليكم بالواو ففي إجزائه وجهان لأصحابنا، قالوا: وإذا قال المبتدي: سلام عليكم أو السلام عليكم، فقال المجيب مثله: سلام عليكم أو السلام عليكم كان جوابًا، وأجزأه، قال الله تعالى: (قالوا سلامًا قال سلامٌ)، ولكن بالألف واللام أفضل، وأقل السلام ابتداءً وردًا أن يسمع صاحبه، ولايجزئه

وإن نُقل إليه سلامٌ ردّ على الناقل والمُسلِم،[٢٨] وإن سلّم أهل الكتاب قال: وعليكم،[٢٩]

دون ذلك، ويشترط كون الرد على الفور، ولو أتاه سلام من غائب مع رسول أو في ورقة وجب الرد على الفور ... والأكمل أن يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتي بالواو، فلو حذفها جاز، وكان تاركًا للأفضل".

وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/١١): "وأخرج البيهقي في الشعب بسند ضعيف أيضًا من حديث زيد بن أرقم كنا إذا سلّم علينا النبي ﷺ، قلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته، وهذه الأحاديث الضعيفة إذا انضمت قوي ما اجتمعت عليه من مشروعية الزيادة على وبركاته".

([٢٨]) لما رواه غالب قال: إِنَّا لَجُلُوسٌ بِبَابِ الْحَسَنِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ائْتِهِ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، فَقَالَ: "عَلَيْكَ السَّلَامُ، وَعَلَى أَبِيكَ السَّلَامُ"، أخرجه أبو داود .

قال ابن حجر في فتح الباري (٣٨/١١): "قال النووي: في هذا الحديث مشروعية إرسال السلام، ويجب على الرسول تبليغه؛ لأنه أمانة، وتعقب بأنه بالوديعة أشبه، والتحقيق أن الرسول إن التزمه أشبه الأمانة وإلا فوديعة، والودائع إذا لم تقبل لم يلزمه شيء، قال: وفيه إذا

أتاه شخص بسلام من شخص أو في ورقة وجب الرد على الفور، ويستحب أن يرد على المبلغ".

([٢٩]) لحديث أنس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ"، أخرجه البخاري ومسلم.

قال في طرح التثريب في شرح التقريب (٨/١١١): "فيه الرد على أهل الكتاب إذا سلموا، وقد قال أكثر أهل العلم من السلف والخلف بوجوبه، ومنعه طائفة من العلماء، فقالوا: لا يرد عليهم، ورواه ابن وهب وأشهب عن مالك ... وفيه أنه يقتصر في الرد على قوله: عليكم، ولا يأتي بلفظ السلام، وبه قال الجمهور، وقال بعض الشافعية يجوز أن يقول في الرد عليهم: (وعليكم السلام)، ولكن لا يقول: ورحمة الله؛ حكاه الماوردي قال النووي: وهو ضعيف، مخالف للأحاديث، في هذه الرواية الاقتصار على قوله (عليكم) بدون واو، وقد اختلفت طرق هذا الحديث في إثبات الواو وحذفها، قال النووي: وأكثر الروايات بإثباتها، وقال الخطابي: عامة المحدثين يروونه بالواو، وكان ابن عيينة يرويه بغير واو، قال الخطابي: وهذا هو الصواب؛ لأنه إذا حذف الواو صار كلامهم بعينه مردودًا عليهم خاصة، وإذا أثبت الواو اقتضى المشاركة معهم فيما قالوه، قال النووي: والصواب أن حذف الواو وإثباتها جائزان؛ كما صحت به الروايات، وأن الواو أجود كما هو في أكثر الروايات، ولا مفسدة فيه، وقال ابن طاوس يقول في الرد على أهل الكتاب: علاك السلام؛ أي ارتفع عنك، فإن قلت إنما أمرنا أن نقتصر في الرد عليهم على قولنا عليكم بدون لفظة السلام؛ لأنهم قالوا في ابتدائهم

وإن سُلّم عليه وهو في صلاة أشار بكفه أو بإصبعه،[٣٠] ولا يرده إلا على طهر،[٣١] ولا يجيب محدثه حتى يسلِم.[٣٢]

السام عليكم، فلم يأتوا بلفظ السلام، فلو تحققنا أن أحدًا منهم أتى بلفظ السلام، ما المانع من أن نجيبه بقولنا عليكم السلام ؟ قلت: ولو تحققنا ذلك لا نعدل عن كيفية الرد الواردة من الشارع، فلعله حرفه تحريفًا خفيًا، أو أراد بقلبه غير ما نطق به لسانه، والله أعلم".

(٣٠) لحديث صهيب ﷺ قَالَ: مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ إِشَارَةً، قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: إِشَارَةً بِأُصْبُعِهِ، أخرجه أبو داود .

وله أن يرد إشارة بإصبعه؛ كما في هذا الحديث، وله أن يشير بكفه؛ كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود وأحمد والترمذي بلفظ، فقلت لبلال: كيف كان يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه، وهو يصلى ؟ قال: يقول: هكذا، وبسط جعفر كفه، وجعل بطنه أسفل وظهره إلى فوق، ينظر: شرح مغلطاي لسنن ابن ماجة (٣١٩/٢).

(٣١) لحديث الْمُهَاجِرِ ﷺ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَبُولُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى تَوَضَّأَ، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: "إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا عَلَى طُهْرٍ، أَوْ قَالَ: عَلَى طَهَارَةٍ"، أخرجه أبو داود .

قال الشوكاني في نيل الأوطار (١٠٠/١): "يدل على كراهية ذكر الله حال قضاء الحاجة، ولو كان واجبًا كرد السلام، ولا يستحق المسلم في تلك الحال جوابًا، قال النووي: وهذا

متفق عليه، وسيأتي بقية الكلام على الحديث في باب استحباب الطهارة لذكر الله، وفيه أنه ينبغي لمن سلم عليه في تلك الحال أن يدع الرد حتى يتوضأ أو يتيمم ثم يرد، وهذا إذا لم يخش فوت المسلم، أما إذا خشي فوته فالحديث لا يدل على المنع؛ لأن النبي ﷺ تمكن من الرد بعد أن توضأ أو تيمم على اختلاف الرواية، فيمكن أن يكون تركه لذلك طلبًا للأشرف، وهو الرد حال الطهارة".

([٣٢]) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه"، أخرجه الطبراني في الأوسط .

قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (٤٠٧/٢): "لأنه مأمن للعباد فيما بينهم فمن أهمله، وبدأ بالكلام فقد ترك الحق والحرمة".

الخطب المنبرية الرمضانية

١- ٣٠ بشارة إذا جاء رمضان
٢- أبشر أيهـــــــــا الداعي
٣- الأحكام الفقهية للصـــــدقة
٤- حتى تكـون تفاطيرنا نافعة

خطبة : ٣٠ بشارة إذا جاء رمضان

إذا جاء رمضان:

١- جاء ركن عظيم من أركان الإسلام الخمسة، فاجتهدوا في تحقيق القيام بحق ركن من أركان دينكم.

٢- ونادى منادٍ: يا باغي الخير أقبل، فيسهل علينا فعل الخير.

٣- وجاء ريح المسك الذي يحبه الله، فأعظِم بقدر خلوف فمك - عند الله - يا صائم.

٤- وانتشرت الإفطارات الرمضانية، فيا فوز من جمع مثل أجور صيام الصائمين إلى صيامه.

٥- وجاءت صلاة الله وملائكته للمتسحرين، فتأملوا كيف تأكلون طعامًا، ويُصلى عليكم من بركات هذا الخير.

٦- وسهُل إطعام الطعام، وصلة الأرحام، وتتابع الصيام، والصلاة بالليل والناس نيام، فأدرك المشتاقون للجنة الغرف التي يُرى ظاهرها من باطنها.

٧- وجاءت عمرة تعدل حجة مع النبي ﷺ، فيا شوقاه لأجر الحج وثواب الحجيج.

٨- وجاءت ليلة تُحصّل بها أجور ألف شهر، بل أكثر، فأين الذين يبحثون عن حسنات كثيرة بتعب يسير.

٩- وتأكدت شعيرة الاعتكاف، فكم في القلب من لوعة إلى الخلوة بالله، وإلى حلاوة مناجاته.

١٠- وسهُل الفوز بأجر صوم سنة، متى ما اتبعته ستًا شوال، فخذ عمرًا مع رمضان فوق عمرك.

١١- وتسابق الناس لإدراك ما بقي من أيامهم الخالية، فقيل لهم يوم القيامة: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}.

١٢- ونادى منادٍ: يا باغي الشر أقصر، فسهُل علينا ترك الشر.

١٣- وأعتق الله في كل ليلة عتقاء، فكثر العتق فينا من النار.

١٤- وغفر الله لكل من صامه إيمانًا واحتسابًا، هو غنيمةٌ باردةٌ للباحثين عن المغفرة.

١٥- وغفر الله لكل من قامه إيمانًا واحتسابًا، هو فرصةٌ قد لا تعوض للباحثين عن الرحمة.

١٦- وغفر الله لكل من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، هو جائزةٌ كريمةٌ للباحثين عن الرضوان.

١٧- واستجاب الله الدعاء مع كل فطر، فهنيئًا لأصحاب الحاجات قضاء حاجاتهم.

١٨- وجاءت ليلة تقسم فيها أرزاق السنة، فأين الباحثون عن رزق الله وفضله.

١٩- وفتحت أبواب الجنة كلها، فأين الذين يطمعون أن يدخلوها من أبوابها الثمانية.

٢٠- ووعِد الصائمون بالدخول من باب الريان، فإذا دخلوا أُغلق بعدهم، فلم يدخل بعدهم منه أحد.

٢١- وقربت مرتبة الصديقية والشهادة ممن صامه وقامه؛ كما بشّرنا نبينا ﷺ.

٢٢- وجاء الثواب بغير حساب، فلا يقدر جزاؤه إلا الله، فأين السائلون عن الثواب الذي لا ينقطع.

٢٣- وقربت شفاعة الصوم ممن منعه صومه الطعام والشراب والشهوة، ومَن منا لا يحب أن يشفع له صيامه.

٢٤- وقربت شفاعة القران ممن منعه قرآنه من النوم بالليل، ومَن منا لا يحب أن يشفع له قرآنه.

٢٥- وغلّقت أبواب النار كلها، فأين الذين يخافون أن يقعوا فيها.

٢٦- وتيسّر الهروب من النار أكثر من ألفي (٢٠٠٠) سنة، فبكل يوم تبعد عن النار سبعين خريفًا، فيا فرح الخائفين بالنجاة من النار.

٢٧- وإذا جاء رمضان صفدت الشياطين، فأين من أبكاه شيطانه بمعصية الله؛ ليفرح بتصفيد شياطينه.

٢٨- وجاء المكفر العظيم، فالصلاة تكفّر ساعات، والجمعة تكفّر أسبوعًا، ورمضان يكفّر سنة كاملة، فيا سعادة من تتخلص من ذنوب سنة.

٢٩- وجاءت الجُـنّة التي تحتمي بها من شرر النار، فيا راحة قلبِ من أكل خوف النار جوفَ قلبه.

٣٠- وجاءت فرحة تمام الصوم، فانتظر بعدها فرحتك بلقاء الله، وقد رضي عنك.

خطبة : " أبشر أيها الداعي"

د. طالب بن عمر الكثيري

خطيب جامع الريان

talebkh.net

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}**، **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}**،**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}**، إن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلاله في النار، أجارنا الله من البدع ومن الضلالات والنار، اللهم أرنا الحق حقاً ورزقنا أتباعه، اللهم وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

أيها المؤمنون – عباد الله– ها قد دخلت علينا العشر الأواخر من شهر رمضان، لطالما فرطّنا في هذا الشهر الكريم، كم من مرة ختمنا كتاب الله؟، كم من مرة تهجدنا لله سبحانه وتعالى في ليلها حتى أطلنا القيام ؟، كم من مرة تضرعنا لله في أسحارها حتى أكثرنا من الاستغفار والتوبة والدعاء؟، كم من صدقة تصدقنا بها؟، وكم من صالحة لله قربناها، –أيها المؤمنون عباد الله– مضى من شهركم أكثره، وبقي لكم أفضله، فاستقبلوا هذه العشر الأواخر، استقبلوها بالطاعة لله سبحانه والإنابة، استقبلوها بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والإكثار من طاعته عز وجل، كفانا دنيا، كفانا ملذات، وشهوات، وسهرات، وقنوات، وجلسات في القيل و القال، كفانا –أيها الأخوة– لنقبل على الله سبحانه وتعالى في أعظم ليالي العام، لنقبل على الله سبحانه وتعالى فإن فيها ليلة، من حُرِم خيرها فقد حُرِم، ليلةٌ خير من ألف شهر، فأقبلوا على الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وأروا الله سبحانه وتعالى منكم ما تستطيعون من الأعمال الصالحة، وذروا قطّاع الطريق، الذين يقطعون القلوب عن طاعة الله سبحانه.

معاشر المؤمنين، إن حديثنا في هذه الخطبة المباركة، مازال موصولاً عن طاعات الله سبحانه وتعالى، وعن أخبار الطائعين، وكيف نكون ونحشر معهم يوم الدين؟، كان حديثنا في جُمع رمضان، عن رمضان والصيام، ثم عن رمضان والقيام، وكانت خطبتنا الأخيرة، عن رمضان وصلة الأرحام، بيّنا وضبطنا فيها مسائل، اجتماع الناس في تفطير رمضان مع أرحامهم وأقاربهم، وأما هذه الجمعة، فحديثي وإياكم عن أعظم أنواع العبادة التي نتقرب بها إلى الله، حديثي وإياكم –أيها الإخوة– عن الدعاء، والاعتصام لله سبحانه بواسع الرجاء، عن انطراح القلب بين يدي الله، عن الأُنس بمناجاة الله تعالى وسؤاله، إنه الدعاء –أيها الكرام– أيّ شيء هذا الدعاء؟!، عرّف

الله عباده بنفسه فقال: {**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**}، هذا هو الرب سبحانه، سامع كل نجوى، كاشف كل بلوى، مجيب كل دعوى، ألكم ربٌ تدعونه إلا الرؤوف الرحيم؟!، ألنا رب نسترحمه إلا القريب المجيب.

أيها المؤمنون –عباد الله– إنه أعظم أنواع العبادة، أعظم أنواع العبادة الدعاء، لأن الدعاء يدل على تواضع القلب وافتقاره إلى الله، لأن الدعاء يدل على الرغبة والطمع فيما عند الله، لأن الدعاء يظهر فيه الوجل، وترتعد فيه اليد من الخوف، وتترقرق فيه الكلمات، وتصدق فيه العبارات، لذلك –أيها الأخوة– كان سبباً في دخول أهل الجنة الجنة، اسمعوا لله يقول، يخبرنا ماذا يقولون يوم صاروا في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر؟، قال عز من قائل: {**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ**}، إن ترك الدعاء –عباد الله– يدل على قسوة القلب، وغفلته وإعراضه عن أوامر ربه، لذلك كان سبباً لدخول النار، نعم، ناراً تلظى، أوقد عليها حتى اسودت، قال الله سبحانه وتعالى: {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**}، فادفعوا عنكم حرّ النار، وادفعوا عنكم عذاب أهل النار، برفع أكفكم إلى الله، وبابتغاء ما عنده بعظيم الدعاء، وكريم الرجاء، فإن كل الخير بيد الله، وليس بينكم وبين الخير، إلا أن تسألوا الله فيعطيكم مما في يديه.

عباد الله، ألكم غناء عن الله؟!!، ألأحدنا غناء عن خلق الله ورزقه؟!، وعن عافية الله وكفايته؟!، وعن هداية الله ورحمته؟!، اسمعوا لله يناديكم، والله هو الغني وأنتم الفقراء، اسمعوا لله يناديكم وأنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد، يقول ربنا سبحانه: "يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهديكم، يا عبادي، كلكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا اغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم"، ما أجمل هذا النداء!، وما أعظم إن رفعنا أيدينا لله بالدعاء!، عندها، تُفتّح أبواب السماء، ويُمطرنا الله بالإجابة، أفيكم ضالّ؟!، أفيكم ضالّ!، أما أنه لن يهتدي إلا إن هداه الله، أمنكم جائع عاري؟، أما إنه لن تسد عورته، ولن تسد خلته، حتى يتوجه إلى الله.

أيها المؤمنون –عباد الله– إن القلب عند الشدة إذا أعرض عن دعاء الله بشروا صاحبه بموات القلب، إن الشدائد من الابتلاءات التي يبتلي الله بها عبده؛ لكي يفتح الله له مغاليق قلبه، إن رأيت عبداً نزلت به البأساء والضراء ولا يتضرع، فاعلم أنه طبع الله على قلبه، {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}، لا تكونوا كأمثال هؤلاء، اكسروا قلوبكم بدعاء الله، وليّنوا قلوبكم بترطيب ألسنتكم برجاء الله، وأبشر أخي الداعي، أبشر، فإن الدعاء، يورث القلب الراحة والاستقرار، إن الدعاء يشعر الداعي بالثقة والاطمئنان، إن الداعي إذا دعا الله أنس بقرب الله، وتلذذ بمناجاة الله، فوثق بنصر الله سبحانه وبإجابته، اسمعوا هذه الآية، آية من كلام ربنا سبحانه، وهو الكريم الرحيم، وهو

الودود الرؤوف، يقول ربي وربك، وإلهي وإلهك: {**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**}، آية والله كريمة، وأسرارٌ فيها عظيمة، آيةٌ تبعث في القلب الرضا لوعد الله عز وجل، أعلمت ماذا قال الله؟، أضاف الداعين إلى نفسه، ولم يضفهم إلى أحدٍ من خلقه، وإذا سالك عبادي عني فإني قريب، فهؤلاء هم عباد الله، ثم إن الله عز وجل لم يجعل بينه وبينهم واسطة، فلم يقل فقل إني قريب، بل قال هو سبحانه: { **فَإِنِّي قَرِيبٌ**}، لم يؤخر دعاءهم، فلم يقل: إني أسمع شكواهم، إني أعلم حالهم، بل قال عز وجل: {**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**}، فادعُ الله عز وجل واستشعر العبودية له سبحانه، ادعُ الله عز وجل واستأنس بقربك من الله، ادعُ الله سبحانه، وأيقن أن الله عز وجل يجيب دعائك، ويسمع بُكائك، ويُقبل الله عز وجل على شكواك.

أخي في الله، أين أنت من هذه اللحظات؟، وأين كنت في هذه الساعات؟، في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وسلم: "ينزل الله تبارك تعالى إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول الله: من يدعوني فأجيبه؟، من يسألني فأعطيه؟، من يستغفرني فأغفر له؟"، هذا ربكم سبحانه، نزل نزولاً يليق بجلاله، يعرض عليكم رحمته؛ فمن الذي يشتري رحمة الله بالاستغفار، يعرض عليكم قضاء حاجاتكم؛ فمن الذي يقدم طلبه بالدعاء؟.

أيها الأخوة الكرام، أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأقرب ما يكون الله من عبده في ثلث الليل الآخر، فأقبلوا على الله واستقبلوا رحمته، وأقبلوا على الله واستقبلوا عطيته، فإنه الرحيم الكريم لمن سأل ودعا واستغفر وأناب.

عباد الله، قد يقول القائل منكم: وهل ينفع الدعاء؟، هل ينفع الدعاء، وقد أمر الله عز وجل وحكم بالقضاء؟، والجواب من رسولك اسمع، يقول بأبي وأمي رسول الله: "الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل"، الدعاء ينفع من كل بلاء نزل بك، ومن كل ضراء مستك، ومن كل بأساء أصابتك، أين أنت من أيوب!، أيوب عليه السلام وقد أصابه الضر، وامتد به ثمانية عشر سنة، أصابه الضر، فمرض في كل عضو من جسمه، وما بقي له إلا لسانه يذكر به الله، أصابه الضر؛ ففقد أهله، أصابه الضر؛ ففقد ماله، أصابه الضر؛ فلم يبقى معه إلا زوجة، تقوم على شؤونه وترعاه، وبعد هذه الأمراض، وعظيم هذه المصائب، لما دعا الله: **{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}**، قال الله، **{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}**، توجهوا يا أهل الحاجات إلى الله، توجهوا يا أهل الأمراض والآفات مهما طال بكم البلاء إلى الله، وأبشروا – معاشر المؤمنين– إن الدعاء ينفع من كل ما لم ينزل، فاعتصموا بالدعاء، فإنه سلاحكم .

أيها المؤمن –عبد الله– أين أنت من قوم يونس!، قوم يونس، أرسل الله إليهم رسولهم يونس عليه السلام، فأعرضوا عنه، وكذبوه، فخرج وتركهم وهو مغاضب، فلمّا ذهب عنهم، ورحل من عندهم، أيقنوا أنهم سينزل عليهم العذاب، عرفوا أن الله سيعاجلهم بالعقاب، تذكروا ما فعل الله بقوم عاد وثمود والأحزاب، لما أعرضوا عن رسلهم، واستنكفوا أن يتبعوا الكتاب، فماذا فعلوا أخوة الإيمان؟، ماذا فعل قوم يونس؟، تضرعوا إلى الله، وبكوا والتجئوا إلى الله، لما ذهب منهم يونس عليه السلام، خرجت المدينة كلها، برجالها ونسائها، وصبيانها وشيوخها، وأنعامهم ومواشيهم، خرجوا جميعاً

إلى أعلى تل جبل، فجثوا على الركب، ودعوا الله سبحانه في السماء، وزادوا من الدعاء والبكاء، تأملوا، وتخيلوا اليوم، مشهد مدينة كاملة، خرج أهلها وتركوها، خرجوا يستمطرون الله رحمته، ويشكون إلى الله سبحانه، يسألونه ألا ينزل بهم نقمته، تخيلوا، كثرة هذه الأيدي التي ارتفعت إلى السماوات، وانظروا، إلى عظيم هذه الدعوات، فما الذي حدث؟ هل نزل عليهم البلاء، قال الله عز من قائل، **{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ }** .

أيها الأحبة، هذه ليالي مباركة، فألحوا ألحوا على الله بالدعاء، أكثروا من سؤال الله، وسألوا الله من فضله، ليسأل أحدكم ربه كل حاجته، ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأل الملح، وحتى يسأل شسع نعليه إذا انقطع، أقبلوا على الله وأبشروا، **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}**، أقبلوا على الله لا يغضب الله عليكم، يقول صلى الله عليه وسلم: "من لا يسأل الله يغضب عليه".

لا تسألن بني آدم حاجةً *** وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله *** وبني آدم حين يسأل يغضب

فأقبلوا على الله، وادعوا وأنتم موقنون بالإجابة يستجب الله لكم، وتضرعوا وألحوا، وتذكروا هذه الآية، تذكروها: **{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ}**،فادعوا الله واستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد الله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، أحمده ربي سبحانه تعظيماً لشأنه، وأصلي وأسلم على رسوله محمدٍ الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المؤمن – عبد الله – بح شكواك إلى الله، واعتصم بالله، أشكوا إلى الله سبحانه من كثرة الخطايا والذنوب، أشكوا إلى الله عز وجل من طول المصائب والكروب، ادعوا ربك سبحانه؛ فإنه الله الكريم علام الغيوب، وإذا أردت أن يتقبل الله منك دعاءك، فاعلم أن للدعاء المقبول آدابًا، كم دعونا الله سبحانه وتعالى في مثل هذا الشهر الكريم؟، لكن من منا استجيب دعاؤه؟، فلنسمع لهذه الآداب، ولنسعى في تحقيقها كلها ما استطعنا.

فأما الأول، أن يتخير الأوقات الشريفة للدعاء، رمضان، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، فأما رمضان، ف "للصائم دعوة مستجابة لا ترد"، وأما عرفة "فخير الدعاء دعاء يوم عرفة"، وأما يوم الجمعة "فإن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يدعو الله إلا أعطاه الله ذلك".

أيه المؤمنون –عباد الله– تخيروا الأحوال الشريفة؛ لكي تتوجهوا إلى الله بالدعاء، تخيروا بدعائكم حال الأذان والإقامة، فإن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد، تخيروا لدعائكم حال السجود؛ "فأن اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، فأكثروا أكثروا من الدعاء، إذا أردت يا عبد الله أن يستجيب الله دعاءك، فقدِم بين يدي الدعاء توبةً واستغفارًا وإنابة، ثم استقبل القبلة، ثم ارفع يديك، فإن الله حيي كريم، يستحي إذا

رفع عبده يديه إليه أن يردهما صفراً، لا يضع فيها شيء، فارفع يديك إلى الله، ولا تدعُ، حتى تبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم الصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم، لقد دعا رجلٌ ورسولكم يسمع، فلم يحمد لله ولم يصلِ على رسوله، فقال عليه الصلاة والسلام: "عجّل هذا، ثم قال: إذا صلى أحدكم – أي إذا دعا – فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه، ثم ليصلِ على نبيه، ثم ليدعُ بما شاء".

أخي المؤمن، إذا أردت أن يستجيب الله دعاءك، فتوسل على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قل: يا رزّاق ارزقني، يا غفور اغفر لي، يا عزيز يا نصير انصرني، توسل إلى الله بأسمائه الحسنى، دعا رجل، فقال: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال عليه الصلاة والسلام: "لقد دعا باسم الله الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب"، إذا أردت أن يتقبل الله دعائك، فتوسل إلى الله بالصالح من أعمالك، أنسيتم قصة أصحاب الغار، وقد سدت عليهم صخرة، فما وجدوا من ينقذهم، إلا أن دعوا الله بصالح أعمالهم، فشفعت لهم ونجّاهم الله، إذا أردت أن يتقبل الله دعاءك، فعليك عليك بدعاء التضرع والخوف، عليك بدعاء الرغبة والأمل، هذا هو دعاء النبيين، **{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}**، إذا أردت أن يتقبل الله مسألتك، فألح ألح بالدعاء، كان عليه الصلاة والسلام إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل الله، سأل الله ثلاثاً، إذا أردت أن يقبل الله سبحانه وتعالى شكواك، فاجزم المسألة، ولا تعلقها على المشيئة، إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه، إذا سألتم، فسألوا الله الفردوس، فإنه أوسط أبواب الجنة، ومنه تتفجر أنهار الجنة.

أخي في الله، لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، وليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له، إذا أردت أن يتقبل الله دعاءك، فادعُ وأنت موقن بالإجابة، ادعُ الله عز وجل، وأنت ترى بين يديك الإجابة، يقول عليه الصلاة والسلام: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"، يقول الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه: والله إني لا أحمل همّ الإجابة، لكني أحمل همّ الدعاء، فحققوا دعاءكم على هذه الآداب، وألزموا هذه السنن، ليستجب الله لكم كما وعدكم.

يا عبد الله، وأعلم أخي في الله، إن الدعاء لن يستجاب حتى يبرأ من آفاته وموانع إجابته، لن يستجاب الدعاء، حتى نسعى -يا عباد الله- في البعد عن موانع إجابة الدعاء، إن من موانع إجابة الدعاء -معاشر الكرام- غفلة الداعي عن دعائه حين يدعو، وعدم إقباله على ربه، إذا دعوت فاجمع قلبك، وفرّغ نفسك، واشتغل بدعاء ربك، "ادعُوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافل لاهي"، هكذا قال صلى الله عليه وسلم، إذا أردت أن يستجب الله دعاءك، فاترك المعاصي، اترك المعاصي -يا عبد الله-، اترك معصية الله عز وجل، واترك أكل الحرام، "أطب مطعمك تجب دعوتك"، "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا"، حدثونا عن رجل، أشعث أغبر، يطيل السفر، يرفع يديه يا رب، يا رب، قد اجتمعت فيه أسباب الإجابة، و لكن ما الذي حدث؟ يقول عليه الصلاة والسلام: "ومشربه حرام، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب له!".

إذا أردت أن يستجيب الله دعاءك، فلا تستعجل، ولا تستبطئ الإجابة، فتستحسر وتترك الدعاء، "يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل:

يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: "يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجاب لي؛ فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء"، رواه مسلم .

أيها الكرام –معاشر المؤمنين–إن إجابة الدعاء مرهونة، بالقيام بأوامر الله سبحانه وتعالى، فحكّموا شريعة الله بينكم، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، يقول صلى الله عليه وسلم ويقسم على ذلك، وهو الصادق المصدوق: "والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يعمكم بعقاب؛ فتدعونه فلا يستجاب لكم".

أيها المؤمنون، إن الله لن يستجيب الله لدعاء من أشرك به، فاتقوا الشرك، لا تجعلوا بينكم وبين الله واسطة، لا تدعوا من دون الله؛ جانًا، ولا إنسًا، ولا صاحب قبر، ولا ولي، إن الله سبحانه وتعالى هو الذي تكفل بالإجابة لكم إذا أخلصتم الدعاء، فادعوا الله مخلصين له الدين.

معاشر الكرام، إياكم والبدع والإحداث في الدعاء، فإن من الناس من يعتدي في الدعاء والطهور، كما أخبر عليه الصلاة والسلام، فالزموا أدعية الكتاب والسنة، فهي خير الأدعية، ادعوا الله بدعاء الأنبياء في القرآن، ادعوا الله بدعاء سيد ولد عدنان، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإن كنت أردت أن يُيسَر لك ذلك، فإني أنصحك بما أنصح نفسي، بكتاب لطيف جميل، اسمه "الدعاء من الكتاب والسنة"، فادعُ الله بدعاء الكتاب، وادعُ الله بدعاء السنة، واحذر بارك الله فيك من الأدعية المبتدعة.

معاشر المؤمنين، أعظم – والله – ما نرجو المغفرة في هذه الليالي العشر الأواخر، أعظم – والله – ما نستمطر رحمة الله سبحانه وتعالى في هذه الليالي الكريمة، فلنقبل على

طاعة الله سبحانه، ثم لنرفع أيدينا إلى الله، ونسأله عز وجل، وهو الغفور الرحيم، اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا، اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامه وقيامه، وتجاوزت له عن خطاياه وعن آثامه، فأقبل عليك وأستعد لما أمامه، اللهم يا ربنا يا مولانا، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به يبننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون علينا مصائب الدنيا، اللهم متّعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا، أبداً ما أبقيتنا، اللهم وأجعله الوارث منا، اللهم وانصرنا على من ظلمنا، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، اللهم ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، ربنا من لنا غيرك ندعوه، ومن لنا غيرك نرجوه، من نسترحم وأنت الغفور الودود، ومن نرجو وأنت ذو الكرم والجود، سبحانك أصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، وأصلح لنا دنيانا، التي فيها معاشنا، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمه أمرنا، واجعل لنا الحياة زيادةً في كل خير، واجعل الممات راحة لنا من كل شر، يا سيدنا وإلهنا ومولانا، اعتق رقابنا من نار الجحيم، يا سيدنا وإلهنا ومولانا، تقبل صيامنا وقيامنا يا كريم، يا سيدنا وإلهنا ومولانا، ارزقنا النظر إلى وجهك، في جنات نعيم، يا سامع الصوت، يا سابق الفوت، يا كاسي العظام لحماً بعد الموت، آنس وحشتنا في ظلمة القبور، وارحمنا يوم النفخ في الصور، إذا قمنا على الصراط، يا غفور يا شكور، ربنا لا تصرف وجهك الكريم عنا، ربنا إنك عفو تحب العف فاعفُ عنا، ربنا إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا، إلهنا لا تخزنا يوم يبعثون، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، اللهم لا تدع لنا في هذا المقام ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا عسيراً إلا يسّرته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا مبتلى إلا عافيته، ولا فقيراً إلا أغنيته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا ولداً إلا أصلحته، ولا والداً إلا وفقته، ولا حيرانًا إلا دللته، ولا منحرفاً إلا هديته،

ولا تائباً إلا قبلته، ولا داعيةً إلا سددته، ولا مجاهداً في سبيلك إلا نصرته، ولا جباراً إلا قصمته، ولا ساحراً إلا فضحته، ولا منافقاً إلا أخرسته، يا الله، يا سمع الدعاء، يا واسع الرجاء، يا رب الأرض والسماء، لا تفرق هذا الجمع إلا بذنب مغفور، وعمل صالح متقبل مبرور، وسعيٍّ يا ربنا إليك تجازينا به، وأنت الغفور الشكور، أيها المؤمنون عباد الله، استقبلوا هذه الليالي بالدعاء، وألحوا ألحوا ألحوا على الله بالرجاء، فإن في كل ليلةٍ منها لله عتقاء، فسألوا الله، أن يعتقنا وإياكم من نار الجحيم، ثم قوموا إلى صلاتكم مرحومين.

خطبة: الأحكام الفقهية للصدقة

د. طالب بن عمر الكثيري
www.talebkh.com

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، أيها المسلمون عباد الله، إن خير الحديث كلام الله، وإن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين، يقول ربنا تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة/٢٥٤]، دعانا الله تعالى للصدقة وحثنا سبحانه وتعالى على الإنفاق في سبل الخيرات وطرق المبرّات، وكم كانت أحاديثنا مع أحاديث القرآن، ومع أحاديث نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في خطب ماضية في الحث على الصدقة، في الدعوة إلى النفقة؛ كما أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعوداً على خطبنا الفقهية يا عباد الله، "ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"، فمنابر الجمعة منابر وعظ وتعليم، وبيان مواقف، وتثبيت على الأصول والأسس التي جاء بها هذا الدين العظيم، حديثي وإياكم في هذه الخطبة عن شيء من فقه الصدقة، أحكام نحتاجها كثيراً، ويتساءل عنها الكثير، والموفّق يا عباد الله من وفّقه الله تبارك وتعالى.

إن من أحكام الصدقة يا عباد الله، أن يحرص المتصدّق على إصلاح نيّته، فإن القلب موطن نظر الله سبحانه، هو القائل عز وجل: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ

وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [البقرة/٢٧٢]، فإصلاح النية من أعظم حقوق الصدقة يا عباد الله، فرُبّ صدقة عظيمة ما قبلها الله؛ لأنها خرجت مخرج الرياء والسمعة، سمّع الله بمتصدّق أراد أن يسمّع الناس بصدقته، ورآءى الله بمتصدق أراد أن يرائي الناس بنفقته، وقام ثلاثة بين يدي الله، فكانوا أول من تُسعّر بهم النار يوم القيامة، ورجل منهم تصدّق ليُقال جواد، وقد قيل، فأمر الله به فسُحب على وجهه، فأُلقي في النار، نعوذ بالله من حر جهنم، إن من أهم أحكام الصدقة يا عباد الله، أن يُخلص بها لوجه الله تبارك وتعالى، فلا تُبطل بالمنّ والأذى، يتصدق الإنسان وهو لا يطلب من أحد جزاءً ولا شكورا، يُنفق وهو لا يريد من أحد مكافأة، إذا صحّت القلوب – يا عباد الله – وجدت الإنسان لا يُريد أبداً بصدقته إلا وجه ربه سبحانه، لا يريد بصدقته إلا وجه الله سبحانه وتعالى، واسمعوا لهذه القصة الجميلة إنها أم المؤمنين عائشة الصدّيقة رضي الله تعالى عنها تصّدقت بصدقة، وهدي الرسول عليه الصلاة والسلام أن من صنع لك معروفاً تُكافئه على معروفه، فإن لم تجد ما تُكافئه فإنك تدعو له مكافأةً له على معروفه، وعائشة رضي الله تعالى عنها تُريد أجراً بلا مكافأة، وصدقة بلا مقابل إلا من الله رب العالمين، أرسلت الصدقة مع جاريتها، وقالت: اذهبي إلى أيتام آل فلان فتصدّقي بها عليهم، ثم امكثي عند الباب، لماذا يا أم المؤمنين؟ انظر إلى من يسعى بصدقته لوجه الله عز وجل لا يريد جزاءً ولا شكورا، ثم امكثي عند الباب، فاسمعي ماذا يدعو لنا أهل الصدقة؟ بأي شيء يُكافئوننا مقابل الصدقة ؟ بالدعاء فندعو لهم مثل ما دعوا لنا، ويكون أجرنا خالصاً عند الله سبحانه وتعالى بلا مكافأة من أحد من البشر، هذه قلوب لا تريد إلا وجه الله علّام الغيوب سبحانه؟

إن أعظم الصدقة يا عباد الله، صدقة السر كلما أخفيتها عن شمالك كلما كان أعظم في أجرك، وأما صدقة الجهر فتجوز إذا كان قصد المسلم منها أن يشجع غيره

لها، وإلا فربنا يقول: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة/٢٧١].

إن من أحكام الصدقة يا عباد الله، أن يتحرى المسلم الحلال في صدقته، إذا تصدّقت فابحث عن حر مالك، عن أحلّه، عن أبعده من الشبهة، "إن الله تعالى طيّب لا يقبل إلا طيّباً"، أطيب ما تجد من مال اجعله قرضاً لله رب العالمين، {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة/٢٤٥]، ويتساءل بعض الناس عن الصدقة من أموال دخلت عليهم من كسب حرام، أو من فوائد ربويّة ماذا يصنع فيها ؟ الجواب: يجب عليهم أن يتخلّصوا منها، ويجعلوها في شيء من سبل الخيرات، لكن لاينووا بهذا الصدقة، إنما ينووا بهذا التوبة إلى الله عز وجل، والتخلص من هذا الكسب السحت الذي عاقبته في الدنيا قبل الآخرة، وماذا تفعل – يا عبد الله – لو كان عندك مال لا تدري أين ذهب صاحبه؟، تركت عندك أمانة، أو استقرضت منه قرضاً، ثم لا تدري أين ذهب هذا الرجل؟ أيجوز لك أن تتصدّق بهذا المال؟ الجواب: نعم، وهذا خير للذي لم تعلم به، تصدّق بنية أن الأجر له، والله يجعلك إن شاء الله شريكاً له في الأجر.

إن من أحكام الصدقة – يا عباد الله – أن يتحرى المسلم أجود ما يجد من الصدقة: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران/٩٢]، فما هو الأجود في الصدقة ؟ هل هو الأنفع للفقير أو هو الأحب للنفس؟؛ اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى، منهم من قال: أجود الصدقة أنفعها للفقير، فانظر أنفع شيء للفقير وتصدّق به، ومنهم من قال: بل أجود الصدقة أحبها لنفسك، وغالباً لا يحب الإنسان لنفسه إلا الخير، وهذا الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى ضرب سائل عليه الباب، يسأله الصدقة، فقال رحمه الله: أطعموه سكّراً، قالوا: لو أطعمناه خبزاً كان أنفع له، فقال وهو يعالج نفسه في طاعة، قال: لكني أُحب السكّر أكثر، إن النفوس يا عباد الله يجب عليها أن تسلك المسالك التي يحبها الله سبحانه، وأحياناً يريد المسلم بصدقته

نفعها للفقير، وأحياناً يريد بها تطهير نفسه، وكلٌ خير، لكن المهم أن تتصدق بأجود ما تستطيع من الخير، جاء أحد الصحابة ﷺ إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أي الصدقة أفضل، بماذا نتصدّق؟، يسألون النبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول إني إستفدت مالاً نفيساً، فمرني ماذا أفعل به؟، يا رسول الله إن أحب مالي إلي بيرُحاء، فمرني ماذا أصنع به؟ كانوا هكذا يفعلون، يسألون ويتحرّون أين يضعون الصدقة، جاء رجل لأحد العلماء من سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى قال: جئت أسألك، قال: ما تسأل؟ قال: لدي مال وأردت الحج، وجئت أسألك، فقال: أوَقد حججت الفرض؟ قال: نعم؛ قال: أوَ قد جئت تريد الأجر؟ قال: نعم؛ قال: فإني أنصحك أن تعمد لهذا المال الذي أردت به الحج، فتُطعم به مائة أهل بيت، فهذا خير لك، خيرٌ من حج النفل، فتردد الرجل، وقال: لكني أرى أن الأحب لقلبي أن أحج، فالتفت هذا العالم الجليل إلى جلسائه، وقال كلمة يا عباد الله، نحن بحاجة إلى فقهها، تدرون ماذا قال؟؛ قال لجلسائه: إن هذا المال إذا خرج وتعلّقت به أوساخ الدنيا، ولم يخلص من الحلال أبت النفس إلا أن يكون لها فيه حظ، وأيّ حظ وهو يريد الحج، نعم لها خظ، وإلا لماذا قدّم العمل المفضول على العمل الفاضل ؟ أليس يريد الأجر؟ أليس يبحث عما هو أعظم وأكرم وأجل ؟

إن فقه الصدقة يحتاج إلى علم يا عباد الله، والصدقة لها أولويات، فلو أنك تصدّقت على قرابتك لكان لك أجر الصلة وأجر الصدقة، ولو أنك وضعت الصدقة في أهل صلاح فقراء، لكنهم أهل دين واستقامة خيرٌ وأحب من أن تضعها في غيرهم من الفقراء، ولو أنك جعلت صدقتك صدقة جارية يُكتب ويستمر أجرها لك حتى بعد موتك لكانت أعظم، فلينظر كل منا أين يضع صدقته يا عباد الله، فإن المال هو المال لكن الأجر ليس كالأجر.

وليست الصدقة – أخي الكريم – بكثرة المال، نعم أحياناً تفضل الصدقة إذا كانت أكبر قدراً، لكن أحياناً تفضل؛ لأنها أعظم إخلاصاً، وأحياناً؛ لأنها وُضعت في مكانها

الصحيح، وأحياناً لأنها كانت من مال حلال، ولو كانت صدقة قليلة، أيّ الصدقة أفضل يا رسول الله؟ قال: "جهد المقل"، يعني صدقة الفقير فقير يحتاج للمال، لكنه يتصدّق، هذه التي يُضاعفها الله سبحانه وتعالى أضعافاً كثيرة، وهل يجوز للفقير أن يتصدق؟ نعم يتصدق ويُنفق ما استطاع، بل ويجوز له أن يتصدق من صدقة تُصدّق بها عليه، تُصدّق عليه بصدقة فإن رأى أنه لا يحتاج بعضاً منها، فله أن يتصدّق بها، وهي صدقة عند الله عظيمة، والرجل الذي جاء يُكفِّر لما جامع في رمضان، وهو فقير أعطاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الصدقة وقال: تصدق بهذا، بل واسمعوا لهذا الحديث العظيم يقول محمد عليه الصلاة والسلام: "سبق درهم مائة ألف درهم"، هذا رجل تصدّق بدرهم، وهذا رجل تصدّق بمائة ألف درهم، وهذا أجره عند الله أعظم، قالوا: كيف يا رسول الله، ولها صور كثيرة قد يكون الإخلاص، قد يكون المال الحلال، قد يكون الموضع المناسب، لكنّ نبينا عليه الصلاة والسلام بيّن صورة أخرى: "سبق درهم مائة ألف درهم"، قالوا: كيف يا رسول ؟ قال: "رجل عنده درهمان فتصدّق بأحدهما"، ما معه إلا رأس ماله، درهمان فتصدّق بدرهم تصدّق بنصف ثروته، "ورجل له مال كثير فتصدّق من عرض المال بمائة ألف درهم"، الأول تصدّق بدرهم لكن لا تحسبها بالقدر، احسبها بالنسبة، تصدّق بنصف ماله لله رب العالمين، والآخر مائة ألف، لكنها ما تساوي إلا أن تكون عرضاً من طرف ماله، المسألة مسألة نِسب، عمر ﷺ جاء بنصف ماله، أبو بكر ﷺ جاء بماله كلّه، كم كان مال أبي بكر؟ كم كان نصف مال عمر؟ ما ندري لكن أُخبرنا بالنسبة، ولم نُخبر بالقدر، وهل يجوز للإنسان أن يتصدّق بماله كلّه؟ الجواب: لا يجوز أن يتصدّق بماله كلّه، ويترك أبناءه عالة يتكففون الناس، إلا إذا كان رجلاً له صبر وتحمّل وقدرة على أن يتحمّل ذلك، وأن يبدأ ويكوّن نفسه من جديد، فإذا كان الإنسان على مشارف الموت هل له أن يتصدّق بماله كلّه؟ الجواب: لا أيضاً؛ لأن المال ليس له، بل

لورثته، إنما يجوز أن يتصدق بثلث المال، والثلث كثير لو أنقص إلى الربع لكان أحب، ولو أوصى فقط بالخمس مثل ما فعل أبو بكر الصديق لكان خيرًا.

أيها المؤمنون – عباد الله – إن من أحكام الصدقة أنه لا يجوز الرجوع في الصدقة لو أنك تصدّقت على إنسان بصدقة ثم أردت أن تأخذها منه لا يحق لك ذلك، تصدقت عليه بشاة ثم أردت أن تستردّها من جديد، لا يحق لك ذلك، بل حتى لو أردت أن تستردها بشراء، يقول عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه: حملت على فرسٍ في سبيل الله، فأضاعها الذي عنده، ومعنى الكلام يقول: تصدقت بخيل في سبيل الله الذي أخذ هذه الخيل أهملها وما أطعمها حتى هزلت وضعفت، قال: فأردت أن أشتريها منه، أشفق على هذه الخيل وهذه الفرس فأراد أن يشتريها لأجل أن يغذّيها وينمّيها، فذهبت أسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو تصدّق بها والآن سيعيدها، لكن بشراء، هل يجوز؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تشتره، وإن أعطاكه بدرهم واحد، إن العائد من صدقته كالكلب يقي ثم يعود في قيّه"، إذاً لا يجوز الرجوع في الصدقة ولو أنك ستشتريها فإذا تصدقت على إنسان فلا تسترد منه شيئاً، لكن إذا جاءتك هدية مثلاً تصدقت عليه بشاة حلوب فأهدى لك شيئاً من اللبن، لا حرج في ذلك، هي له صدقة، ولك أنت هديّة، هل يجوز للمسلم أن يشتري صدقة غيره؛ رجل تصدق عليه بصدقة الفطر، وكثرت عندك فخرج يبيعها للناس، هل يجوز أن تشتري صدقة غيرك؟ الجواب: لا حرج في ذلك، عباد الله، أسأل الله تعالى أن يفقهني وإياكم في الدين، قلت ما سمعتم، واستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية :

الحمد لله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، أحمده ربي تعظيماً لشأنه، وأُصلي على محمد الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه، جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى فقال: يا إمام، إني أكره الموت، فقال: لأنك أخرت مالك، لو أنك قدّمت مالك لاشتقت أن تلحق به، قيل لأحد السلف: لماذا تُكثر

من الصدقة؟ فقال رحمه الله كلمة نسيناها يا عباد الله، قال: لو أن رجلاً انتقل من دارٍ إلى دارٍ أخرى، هل يترك من متاعه في الدار الأولى شيء؟ رجل انتقل، ذهب من هذه الدار إلى الدار الأخرى، هل يترك يا عباد الله من متاعه في داره الأولى شيء، قالوا: لا يحمله كلّه معه، قال: وكذلك أنا انتقل من دار إلى دار، فأحمل متاعي كلّه معي.

إن من أحكام الصدقة – يا عباد الله –، ومما يسأل عنه كثير من الناس جواز صدقة المرأة من مال زوجها، هي أمينة ومؤتمنة على المال، فهل يجوز لها أن تتصدق بشيء من هذا المال؟ تتصدق بخبز، تتصدق بشيء من الطعام، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها: "إذا أنفقت المرأة من طعام زوجها من غير مفسدة كان لها مثل أجر ما أنفقت، وله مثل أجر ما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص ذلك من أجور بعضهم شيئاً"، إذاً لها الأجر بشرط أن يأذن لها إذناً خاصاً أو تعلم منه الإذن العام: أنه لا يبالي لو تصدقت ببعض الأشياء الخفيفة، أما إن علمت أنه ينهى عن ذلك، فلا يجوز لها أن تفعل، وهل للإنسان أن يتصدق على أولاده؟ لا شك أن أعظم ما تنفقه ما تنفقه على نفسك وعلى أهلك، لكن إياك أن تخصص بعض الأولاد بصدقة دون بعض، "أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟"، إذاً اتق الله، واعدل بين أولادك، لا يجوز تفضيل بعضهم على بعض في العطيّة والصدقة على بعض، إلا في حاجة، لو كان ابنك هذا ذا عيال كثير، وحالته المادية ضعيفة، يجوز لك أن تعطيه ما لا تعطي الآخر؛ مراعاة لحاجته، لو أنه مريض يجوز أن تصرف عليه في العلاج ما لا تعطيه الآخر؛ مراعاة لحاجته، لو أنه أراد الزواج لك أن تعطيه من المال ما لا تعطيه غيره من الأبناء الذين لم يأت وقت زواجهم، هذه نفقة فتجوز، ولو تفاوتت، لأنها بحسب الحاجة، وأما الصدقة والعطية فيجب أن تكون على العدل بما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أيها المؤمنون – عباد الله – إننا في عصر تطورت فيه الوسائل التكنولوجية، فهل تُقبل تلك الصدقات الإلكترونية؟ كم تأتينا رسائل عبر الجوالات: أرسل رسالة فارغة إلى الرقم كذا، وتصدق بمبلغ قدره كذا، هل هذه صدقة مقبولة ؟ أم أنه لابد من إخراج الصدقة، يخرجها الإنسان بيمينه، ويُعطيها الفقير؟، الجواب: هي مقبولة يا عباد الله، وهي من الصدقات التي يحبها الله؛ لأنها خفيّة، وأعظِم بأجر صدقة السر.

عباد الله، إن بعض الناس نسمعهم يتساءلون إذا رأوا صناديق عند الأبواب تُجمع لبعض المحتاجين، أو لبعض إخواننا المستضعفين في بلاد المسلمين هل ستصل هذه الصدقة؟ أخي الكريم، إن لك ما أنفقت، أيّ نفقة تُنفقها يكتبها الله لك، وتحرَ الذين يوصلونها، ليعظم الأجر إن الصدقة لو وقعت في يد كافر لكُتب لك الأجر {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان/٨]، ولم يكن أسير ذاك اليوم إلا كافر، إن الصدقة تُكتب لك حتى لو أطعمتها إنسانًا فاسقًا، لكن إذا خفت أنه سيعبث بالصدقة، فلك أن تعطيها إياه بطريقة لا يستطيع أن يصرفها في معصية الله، هذا رجل قصّته عجيبة أخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم، قال ذات يوم: لأتصدقن الليلة بصدقة، يعني صدقة كبيرة، لكن لا يريد أن يعلم بها أحد، فذهب وأخذ ماله ووضعه في بيت، وانطلق لا يريد أن يعلم به صاحب البيت، ولا يريد هو أن يعلم من هو صاحب البيت، فأخفاها تماماً، لكنّ الصدقة كانت كبيرة، لذلك تحدّث الناس في الصباح، فماذا قالوا؟ أخذ الناس يقولون البارحة تُصدّق على زانية يا الله هو لم يعلم البيت أرادها خفية فوقعت في بيت امرأة زانية فقال في نفسه وهو حريص على أن يعتق نفسه من النار لأتصدقن الليلة بصدقة ثانية، ثم انطلق فأخفاها، ألقاها في بيت، فأصبح الناس يتكلمون، قالوا: تُصدّق البارحة على غني، من هذا الرجل ترك الفقراء وذهب يتصدّق على الأغنياء؟ ترك الصالحين، وذهب يتصدّق على امرأة زانية، قال: لأتصدقن الليلة بصدقة، فذهب الثالثة، ووضع الصدقة فوقعت في يد سارق، فتحدّث الناس، فقال في نفسه: يا رب، على زانية وغني

وسارق، فقيل له: إن الله تقبّل منك صدقتك، إنك تصدقت على زانية فلعلها أن تستعف بها من الحرام وتصدقت بها على غني فلعله أن يعتبر وتصدقت بها على سارق فلعله أن يستعف عن السرقة.

عباد الله، إن الله تعالى كريم فابتغوا الخير، واسلكوا مسالكه، وأخيراً من كان عليه دَين؛ هل له أن يتصدق أو يجب عليه أن يقضي دينه أولاً ؟ أما إذا كانت الصدقة مالاً يسيراً، لا يؤثر عليه في سداد دَينه في وقته، فله أن يتصدق به، وأما إذا كان مالاً كثيراً يؤخر به السداد، فإن المسلم – يا عباد الله – معلّق بدينه، والواجب أولى من التطوّع.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يفقهني وإياكم في الدين، وأن يوفقنا وإياكم للطاعة، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لنا وترحمنا يا رحمن يا رحيم، اللهم خذ بأيدينا للتقوى، اللهم ارزقنا من العمل ما تحب وترضى، اللهم ثبّتنا على العروة الوثقى، اللهم حرّم أجسادنا وأجساد والدينا على النار؛ فإن أجسادنا غداً على النار لا تقوى، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم استرنا فوق الأرض واسترنا تحت الأرض واسترنا يوم العرض، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم انصر إخواننا المستضعفين، اللهم سدد إخواننا المجاهدين في سبيلك، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

خطبة: حتى تكون تفاطيرنا نافعة

د. طالب بن عمر الكثيري

خطيب جامع الريان

talebkh.net

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢] ، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠، ٧١] ، إن خير الحديث كلام الله، وإن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أعتقنا الله وإياكم في هذا الشهر الكريم من النار.

لقد تعددت وتنوعت، وأصبحت كالأزمة عند كثير من الناس، أصبحت متكررة، وبنفس الوجوه والأشخاص تقريباً، مما أورثها طابع السآمة والملل، واحتاجت إلى وقفة تجديد وترشيد، لقد أخذت أوقات طويلة من ليالٍ شريفة، كان يُفترض أن تُستغل

الاستغلال الأمثل في عبادة الله، سببت الإحراج لبعض المعسرين، الذين يأبون إلا أن يفعلوا كما فعلوا عام أول، أو كما صنع فلان وفلان.

إن وقفتنا في هذه الخطبة أيها الكرام، بعنوان: (حتى تكون تفاطيرنا نافعة)، كم كثرت واتسعت وامتدت وطالت، واحتاجت منا إلى وقفة جادة؛ لأنها باتت ثم أصبحت من الأمور الاجتماعية التي قد لا يكون لها مندوحة عند كثير من الناس، إخوة الإيمان، وقفات نتلمّس هذا الأمر، نكتشف بعض مقاصده المشروعة، ونوجهه التوجيه الصحيح، ثم نقف لنتعرف على بعض أخطاء الناس فيه، وكيف يمكن أن نجتنبها أو أن نتركها ؟.

أيها المؤمن عبد الله، إن اجتماعك بأهل القرابة والأرحام، إن إطعامك الطعام لهم، إن جلوسك للتعارف والتآلف معهم، كل هذا من الأمور المحببة إلى الشريعة، لكننا أيها الإخوة، قد نخسر كثيراً من المال، ونفقد عظيماً من الوقت، غير أننا نتناسى أن نستدرك ذلك بالنية الصالحة التي تضاعف لنا الأجور، وتُعظم لنا الثواب من ربنا سبحانه الغفور، إذا أقمت – أخي في الله – مثل هذه التفاطير؛ فلتنوِ نية طيبة، (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)، لا يعزب عن ذهنك أنك ما قمت بهذا التفطير إلا طمعاً في أجر تفطير الصائمين، أخي المبارك، روى الإمام أحمد والترمذي من حديث زيد بن خالد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم: (من فطّر صائماً فله مثل أجره؛ غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا)، فكم هم الذين دعوتهم لهذا المجلس؟ وكم هم الذين قمت بتفطيرهم؟؛ ستون، سبعون، يزيدون على المائة، انظر كم لك من الأجر العظيم إذا نويت واستحضرت هذه النية

الطيبة؟، أخي المبارك، لا تنسَ أن تنوي صلة الأرحام بمثل هذه التفاطير، فكم فيها من جمع الأقارب؟ ولمٍّ شعاث شملٍ لم يجتمع على مدار العام، كم فيها من ابتسامة صادقة، وكلمة طيبة، ونصيحة مؤثرة، ومجلس أخوي رحمي بين الأرحام والأقارب بعضهم بعضا، كم فيها من إدخال السرور على الصغار وعلى النساء، كم فيها من تقديم الطعام والتوسيع على الأقارب والأرحام، أبشر بمثل هذه النية الطيبة بجنة عرضها السماوات والأرض، قال عليه الصلاة والسلام: (أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)، رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، إذاً هي أربع؛ أن تفشي السلام، وخصوصاً على أرحامك وأقاربك، وأن تطعم الطعام؛ وخصوصاً لأرحامك وأقاربك، ثم تكون بهذا قد وصلت رحمك، ثم تصلي بالليل لربك؛ فتدخل جنة عرضها السماوات والأرض.

أيها المؤمنون عباد الله، إن عِظم الأجر ليس بعظم الفعل، ولكنه بعظم استحضار النية، فانوِ في مثل هذا ما تنوي بالهدية من تأليف القلوب، وتقارب الأرواح، وإزالة وحل الصدور، وتنوي بهذا ما تنوي بالصدقة من إطعام جائع، ونفع محتاج، وشفاء مريض، ألم نسمع ماذا قال عليه الصلاة والسلام! قد قال صلى الله عليه وآله وسلم كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: (داووا مرضاكم بالصدقة).

عباد الله، إن المؤمن لهو الذي يستثمر أيامه وأعماله استثماراً أمثل؛ فيما يرضي الله عز وجل، فلنحرص ولننوِ أن تكون هذه المجالس مجالس خير وهدى ونفع لكل من حضرها، وهذا ما يجعلني أتكلم عن الفقرة الثانية، كيف نفعّل مجالس التفطير؛ لتكون

مجالساً هادفة، ولتكون مجالساً نافعة لكل من حضر من رجال ونساء أو صبيان وكبار؟.

أيها المؤمنون عباد الله، إن المسلم ليس عنده وقت ليضيعه، ليس عنده وقت ليجعله سدى، وخصوصاً إذا كان هذا الوقت من ليالي شهر رمضان المباركة، فاحرص – أخي في الله – ياصاحب التفطير أن تنفع الناس إن حضروا؛ بما ينفعهم من أمر دينهم وأمر دنياهم، فكّر تفكيراً طويلاً كما كنت تفكّر، بل أعظم ماذا تُقدّم من الطعام؟، ومن تدعو من الناس؟ ومتى يكون وأين يكون؟ فكّر – بارك الله فيك – كيف تنفع هؤلاء الحاضرين بما ينفعهم من أمور دينهم؟ فيتعلمون أمراً من أمور الدين، ويتفقهون في أحكام الشريعة، ويتأثرون بالكلمة الجادة والنصيحة الصادقة، لماذا لا تفكّر – أخي في الله – أن تدعو داعية؛ ليلقي كلمة مؤثرة مناسبة للمجلس؟ وبأسلوب وعظي جذّاب ونافع، لماذا ما تفكّر – أخي في الله – أن تزيّن أرجاء وطاولات المجلس ببعض المطويات الجميلة، والكتيبات الملونة النافعة؛ حتى إذا خلا بعضهم ما وجد أمامه إلا الخير، فقرأ فيه، فأُجرت بإذن الله سبحانه.

أيها الإخوة، كم زادنا غثاءً هذا التكرار الممل، مما يُقدّم في المجالس؛ من أكل وطعام وشراب وماء، ونمُد طعاماً فوق الطعام، وشراباً فوق الشراب؛ حتى نُتخَم بتغذية الأجساد، وقد افتقرنا من تغذية الأرواح، لماذا لاتجعل هذا العام مختلفاً، أخي في الله؟ لماذا لا تفكّر أن تُقدّم في سلّة الفاكهة بدلاً من بعض الفواكه أن تقدّم سيديهات جميلة، أو مطويات نافعة، أو نشرات فيها شيء من الوعظ، وأعمال الخير والبر في رمضان وفي غيره، أخي في الله، لتكن هذه همتك، ولتكن هذه عزيمتك، وليكن

رمضانك آخر، {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت/٣٣].

أيها المؤمنون عباد الله، حتى نفعّل مجالس التفطير فلنحرص على أن نناقش الأمور الجادة التي ينبغي للأسرة أن تناقشها؛ فيما ينفعهم في أمور دينهم أو دنياهم، لماذا لا نطرح مثل هذه الأمور؟ لماذا لا نناقشها؟ وقد اجتمع أبناء الأسرة الواحدة، لماذا لا نناقش مسألة تزويج بعض الشبّان أو بعض الفتيات؟ لماذا لا نحل فيما بيننا – وقد اجتمعنا – بعض الخلافات؟ لماذا لا نفكّر ونبحث في فرص لدراسة، أو عمل لبعض أبنائنا، هكذا فلتكن مجالسنا؛ مجالس خير، تنفعنا في الآخرة، وتنفعنا في أمور الدنيا.

عباد الله، إننا إذا جلسنا هذه المجالس علينا أن نحرص على زرع الخير فيها، إنني لأدعو كبار الحاضرين والعقلاء منهم أن يأخذوا بزمام الحديث في مثل هذه المجالس، فيبدءوا هم بطرح المواضيع الجادة النافعة، فإذا تكلّم فيها الحاضرون أخذت زمناً طويلاً من زمن المجلس، فكان زمناً نافعاً، ثم ليبدعوا ويبتكروا طرح موضوع بعد موضوع، بعد آخر، يتناقش فيه الحاضرون، ونخرج جميعاً بالمنفعة، ويخرجون هم بالأجر، إن لم تكونوا أنتم يا عقلاءنا من يطرح هذا الكلام، إن لم تكونوا أنتم – أيها المؤمنون المتقون – من يستلم زكام المبادرة للمعالي في هذه المجالس، ويستفتح هذه المواضيع، فإن غيركم ممن حضر سيجعل الكلام فيما لا ينفع، بل فيما يضر.

إخوة الإيمان، لنجنّب مجالس تفطيرنا ما لا ينفع من الكلام التافه، فلماذا الحديث يطول كثيراً عن أخبار المسلسلات، وعن أسعار الجوالات، عن نتائج المباريات، وغير ذلك من فضول هموم الدنيا التافهة، إخوة الإيمان، اتقوا الله عز وجل، ولنحذر أن

تكون فاكهة مجالسنا الحديث المحرّم؛ بغيبة المسلمين، أو بلمز الدعاة الصالحين، أو بالفتاوى المنكرة، والتقدّم بين يدي أهل العلم دون علم محقق أو خبر مصدّق، اتق الله عز وجل؛ فإنك مسؤول عما تتكلم فيه، وتنشره بين الناس، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق/١٦-١٨].

عباد الله، لا تنسوا سنن الولائم، لا تنسوا سنن وآداب الطعام، إن من سنن الطعام التي نسيها كثير من الناس للأسف، لقد نسوا أن يدعوا المحتاجين والمساكين إلى هذه الولائم، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (شر الطعام طعام الوليمة؛ يُدعى لها الأغنياء، ويُترك لها الفقراء)، أخي في الله، عظّم أجرك بدعوة هؤلاء، ولو بعدوا عنك في النسب، فقد قربوا منك في الإسلام، ما أجمل أن تتزيّن مجالسنا بحضور بعض الأيتام الصغار، وبوجود بعض المساكين، وبتوصيل الطعام إلى بيوت المحتاجين.

أيها الإخوة الكرام، إن من سنن الولائم وسنن العزائم ألا نُسرف فيها، فاتقوا الله عز وجل مدت سُفر لم يطعمها أحد، وُضعت صحون لم يقرب منها أحد، لماذا – يا أخي في الله – لماذا تفعل هذا؟ أليس هذا من بطر نعمة الله سبحانه! إن بعض المطابخ والمطاعم تعمل في رمضان أكثر مما تعمل في غيره، وكأننا فتحنا أبواب المطابخ، وأغلقنا على أنفسنا أبواب الطاعات، إن بعض الناس للأسف تفطيره كصبيحة عرس، يدعو لها المئات، ويُرسل لهم الدعوات، ويكتب فيها أعداد المدعوّين، من وسّع الله عليه فلا حرج، لكن أن تتخذ هذه سنة وطريقة وعادة متّبعة فليس هذا

أبداً بصحيح، فاتقوا الله عز وجل، واسمعوا ماذا يقول إلهي وإلهكم، وربي وربكم: {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف/٣١].

أخي في الله، اتقي الله عز وجل، جمعتني وإياك أخوة الإيمان فنصحتك بنصيحة الإيمان، فإياك أن تكون من إخوان الشياطين: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء/٢٧]، اللهم وفقنا لما تحب وترضى، اللهم وارزقنا التقوى، اللهم وحرّم أجسادنا على النار؛ فإن أجسادنا غداً على النار لا تقوى، لنا حديث نواصله إن شاء الله في خطبتنا الثانية، فاستغفروا الله، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، أحمده ربي سبحانه تعظيماً لشأنه، وأصلي وأُسلم على نبينا محمد الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين.

أيها المؤمنون عباد الله، إن المؤمن لا تسلك به عادة إلى الخطأ، ولا يجاري الناس في أخطائهم، إن المؤمن لا ينبغي له أن يكون كالإمعة؛ إن أحسن الناس أحسن، وإن أساءوا أساء، بل إن المؤمن الحقيقي هو الذي يُحسن إن أحسن الناس، ويجتنب إساءتهم إن أساءوا، فمن الأخطاء التي تنتشر في مثل هذه المجالس؛ أعني مجالس التفطير في رمضان: كثرة التفاطير عند بعض الناس، فتتعجّب وأنت ترى الواحد كل يوم في حي، وكل يوم في تفطير، يقول أحدهم: إني والله مفطّر من أول يوم من رمضان، بل يقول: والله، إني لا أستطيع أن أفطر ليلة واحدة في بيتي غير يوم تفطيرنا

للناس، فأيّ شيء هذا إخوة الإيمان!! يخبرني أحدهم، يقول: إني مفطّر ستة وثلاثين يوماً، ثلاثين من رمضان، وستة من الست من شوال.

إخوة الإيمان، إن كثرة هذه الأمور يؤدي ولا شك إلى الإسراف، وإلى خروج الأمر عن حدّه، للأرحام حق، لكن لا تنسَ أن ثمة أمور كثيرة لها حقوق عليك، فأدِ لكل ذي حق حقه، ولا تكن من الغالين المعتدين المتنطعين.

أيها المؤمنون عباد الله، إن تأخير الطعام عند كثير من الناس إلى قُرب صلاة العشاء، بل بعضهم للأسف يحبس الناس بسبب طعامه عن حضور الفريضة، ويؤخرهم عن صلاة التراويح، فاتقِ الله عز وجل، لماذا لا يُقدّم الطعام سريعاً؟، لماذا لا نأكل أكلاً خفيفاً حتى نقوم بعد ذلك لله إلى صلاتنا خاشعين، ولله سبحانه وتعالى في ركوعنا وسجودنا خاضعين، أيها المؤمن – عبد الله – إياك أن يمنعك كثرة التجشؤ من دموع القيام بين يدي الله الملك العلام، يقول أبو جحيفة رضي الله تعالى عنه: أكلتُ ثريدة من لحم وخبز، ثم أتيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأكثرت من التجشؤ، فقال عليه الصلاة والسلام: (يا هذا، كف عنا جُشاءك؛ إني رأيت أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة)، وهو حديث صحيح، رواه الحاكم رحمه الله تعالى، فاتقِ الله عز وجل، متى ستخشع في صلاة قيام الليل، إذا كنت – أخي في الله – تأتي ببطن متخمة، وحواس مفرّغة لهضم الطعام، فلا تعِ كلام الله سبحانه وتعالى العلّام.

أيها المؤمنون عباد الله، إن من أخطاء بعض الناس أن يتجنّب صلة أرحامٍ أمر الله سبحانه وتعالى بصلتهم؛ بحجة أنهم ما زاروني، فلن أذهب إليهم، ما حضروا تفطيري،

فلن أحضر تفطيرهم، أهذه صلة؟ لا، هذا الذي قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس الواصل بالمكافئ، إنما الواصل الذي إذا قطعته رحمه وصلها)، فاذهب وإن لم يأتوا، وادعهم وإن لم يعزموا، فإنك بهذا تصل ما بينك وبين الله عز وجل؛ بصلة هذه الرحم المقطوعة.

أيها المؤمنون عباد الله، اعلموا أنه لا يحق لنا أن نترك مثل هذه الأمور التي نصل فيها أرحامنا إلا إذا كان هذا الرجل ممن يحلّ هجره، فيُهجر تأليفاً لقلبه، ودعوةً له إلى الطاعة والاستقامة على دين الله عز وجل، فما أجمل أن نجتمع جميعاً على قرار واحد؛ أن نمتنع من حضور وليمة هذا الذي لا يصلي، أو غيره من الفسّاق، من أجل أن يفهموا الدرس؛ أن ما بيننا وبين الله أعظم مما بيننا وبينهم.

أيها الأخ الكريم، إنه لا يحل لك أن تجتنب مثل هذه المجالس التي ينفعك الله سبحانه وتعالى بصلة رحمك، إلا إذا كان مالهم مالاً حراماً، لم يختلط بشيء من الحلال، فاجتنبه عند ذلك، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به، هذا الأورع لك من أقوال أهل العلم رحمهم الله تعالى، وعليك أن تجتنب هذه المجالس إذا خالطها الحرام في وقت جلوسك؛ كأن يكون فيها غناء، أو اختلاط بالنساء، أو تُعلّق بعض صور الأرواح المحرمة في البيوت والمجلس، فاجتنب هذه كما اجتنبه صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، بل كما امتنع عليه الصلاة والسلام أن يدخل بيت زوجه عائشة رضي الله عنها، لما كان فيه شيء من ذلك.

أيها المؤمنون عباد الله، إذا ازدحمت العزائم على الإنسان؛ فإنه يُقدّم الأقرب فالأقرب، الأقرب دعوةً له، وهو من دعاه الأول، والأقرب رحماً له، أو الأقرب جواراً له، فإن تساووا فليُقرع بينهم، ثم ليذهب وهو في هذه معذور عند الله سبحانه.

أيها المؤمنون عباد الله، إن خُلقاً سيئاً انتشر بين أبنائنا في مثل هذه المناسبات، يجب التنبيه عليه، وهو كثرة استعمالهم لهذه المتفجرات الصغيرة التي نسميها (القراطيس)، فآذوا أنفسهم بسوء استعمالها، وآذوا الناس وأزعجوهم، إن الرجل القوي منا لما يكون على غفلة، فيسمع مثل هذا يقلق ويضطرب، فحدّثوني عن هؤلاء المرضى، وحدّثوني عن أولئك الذين رمى بهم الكبر أو المرض في الفراش؛ كيف يكون أثرها عليهم؟ وكم تسببت في أضرار كثيرة جسيمة على الأرواح والأبدان والممتلكات؟ فاتقوا الله سبحانه وتعالى، وجنبوها أبناءكم.

إنني أيها الإخوة، أعرض لكم بيانًا جاءنا من جهة رسمية مسؤولة، تُحذّر فيه بأن كل من روّج أو باع مثل هذه القراطيس، فإنه سيُعرّض نفسه للمساءلة القانونية، وقبل ذلك لا تنسوا أن تربية أبنائنا على هذه الأمور التي قد تضرهم، ليس من القيام الحقيقي على الأبناء وعلى تربيتهم.

أيها الكرام، إن من أخطاء هذه التفاطير – للأسف – أنها جاءت في ليالٍ وترية، وأنتم تعلمون أن الليالي الوترية، وخصوصاً في العشر الأواخر من رمضان ينبغي تفريغ النفس قدر الاستطاعة فيها للعبادة والطاعة، كان عليه الصلاة والسلام إذا دخلت العشر الأواخر شدّ المئزر، وترك النوم، واجتهد عليه الصلاة والسلام في العبادة، أيها المؤمنون عباد الله، لماذا لا نُغيّر هذه الليالي؟ لماذا لا نقدّمها ليلة أو نؤخرها ليلة؛ حتى

لا تكون في الأوتار؟، من الذي أذن لنا أن نخصص أياماً معينة بمناسبات خاصة، إن مثل هذا الأمر لا ينبغي على هذه الجهة، فاتقوا الله سبحانه وتعالى، إن ربط مثل هذه المناسبات ببعض البدع والمحدثات أمرٌ قد عفا الزمان عليه، فلا ينبغي لنا وقد أكرمنا الله بالعلم النافع الموروث عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؛ أن نتعاطى مثل هذه الأمور، فنُربط مثل هذه التفاطير ببعض الموالد المبتدعة في المساجد، أو ببعض الطبل والزمر في بيوت الله عز وجل، أو بزيارة غير شرعية إلى القبور، أو كما يفعل بعض الناس توزيع بعض الحلوى على الأطفال الصغار بمناسبة المولود الصغير أو المولود الجديد .

أيها الإخوة، إن اتخاذ يوماً محدداً دائماً متكرراً عيداً نفرح فيه، أو يفرح فيه الصغار هذا لابد أن يكون له دليل شرعي؛ لأن أعيادنا – معاشر أهل الإسلام – عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الجمعة، فاتقوا الله عز وجل فيها، أما كونك توزّع بغير تخصيص ليومٍ معين، وتقسّم مثل هذه الحلوى أو مثلها بغير تكرار، فإن مثل هذا الأمر لا حرج فيه إن شاء الله، فلنجتنب الابتداع في الدين، وتخصيص ما لم يخصه الله عز وجل، أو يخصه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الأمور الشرعية أو العبادية؛ لأنه إن كان من الأمور الشرعية وخصصناه فقد أحدثنا في دين الله، وإن كان من الأمور العادية، وخصصناه فقد جعلنا عيداً لم ينزل الله سبحانه وتعالى به من سلطان.

اللهم يارحمن يا رحيم يا قريب يا مجيب يا رب العالمين، يا إله الأولين والآخرين، اللهم اجعلنا ممن تقبلت صيامه وقيامه، ووفقته للخير فاستعد لما أمامه، وغفرت له ذنوبه وإجرامه، اللهم يا مولانا يا ربنا إن نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب

المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا يا رحمن يا رحيم، وإذا أردت فتنة قوم فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم اجعلنا ممن يُبشر عند الموت بالجنان، وبرب راضٍ غير غضبان، اللهم لا تصرف وجهك الكريم عنا، اللهم لا تُخزنا يوم يُبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، اللهم إنا نسألك يا رحمن السماوات والأرض ومن فيهما ورحيمهما؛ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تُعتقنا في هذا الشهر الكريم من النار، اللهم حرّم أجسادنا، وأجساد والدينا على النار، اللهم حرّم وجوهنا، ووجوه والدينا على النار، اللهم إنا نسألك أن تغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات؛ الأحياء منهم والأموات، اللهم وانصر الإسلام والمسلمين، اللهم وانصر وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل أعداءك أعداء الدين، لا إله إلا أنت سبحانك؛ إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

فهرسة المواضيع :□

الموضوع الصفحة

- التفسير التربوي لســـورة يس ..... (٣)
- الشرح التربوي لأربعينية النووي ..... (٣٥)
- رسالة أول الإيمـــــــــــان ..... (٩٦)
- كتاب الزكاة من مـــهذبة الزبد ..... (١٠٦)
- كتاب الصيام من مـــهذبة الزبد ..... (١١٥)
- رسالة صفة الوضـــــــــوء ..... (١٢٣)
- آداب السلام من الآداب الشرعية..... (١٤١)
- الخطب المنبرية الرمضانية ..... (١٦٩)
- الخطبة (١) ٣٠بشارة إذا جاء رمضان ..... (١٧٠)
- الخطبة (٢) أبشر أيهـــــــا الداعي ..... (١٧٣)
- الخطبة (٣) الأحكام الفقهية للصـــدقة ..... (١٨٦)
- الخطبة (٤) حتى تكون تفاطيرنا نافعة ..... (١٩٥)